

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

يسرنا أن نقدم لطلابنا كتاب تاريخ الدولة الأموية والعباسية للسنة الثالثة بالمعاهد التخصصية الشرعية ، الذي حاولنا فيه تقديم مادة منتقاة تغطي مرحلة مهمة من مراحل تاريخنا الإسلامي المشرف ، شابها الكثير من ألوان الطمس والتعتيم والتحريف خاصة تاريخ الدولة الأموية وبدايات تأسيسها ،كذلك جهود بعض خلفاء بني العباس خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين في تدوين السنة، كما حرصنا في إعداد هذا الكتاب على تحقيق الأهداف التربوية المرجوة منه ، وتقديم موضوعاته في أسلوب سهل وميسر ، حيث تم تقسيم الكتاب إلى وحدتين ، الأولى تختص بتاريخ دولة بني أمية السياسي والحضاري وينقسم إلى خمسة موضوعات:

الأول خاص بالنشأة والتأسيس ، ومن ثَّم أبرز الخلفاء ، والذي يليه الفتوحات، ثم تدوين السنة في عهد بني أمية ، وأخيراً نهاية الدولة الأموية وأسباب سقوطها ، وأما الوحدة الثانية فهو يختص بتاريخ دولة بني العباس السياسي والحضاري مع التركيز على العهد العباسي الأول وينقسم إلى ستة موضوعات : الأول قيام الدولة ، والثاني خاص بأشهر خلفاء بني العباس ، والثالث يتحدث عن العصر العباسي الثاني وهو عصر الضعف وسيطرة الأتراك على مفاصل الدولة ، والذي يليه يشمل مرحلة تدوين علوم السنة ، ومن ثم فتوحات بني العباس ، وأخيراً نهاية حكمهم وأسباب ذلك .

ويهدف الكتاب الي :-

1- إبراز تاريخ وسيرة بني أمية وبني العباس .

2- استيعاب الطالب لدور بني أمية في نشر الاسلام .

3- استنتاج الدروس والعبر من سيرة بني أمية وبني العباس .

4 إكساب الطالب القدرة على المقارنة بين العهدين .

5-ترسيخ محبة الصحابة والتابعين .

6-تقدير وتوقير العلم والعلماء من هذه الأمة .

وكذلك قمنا بإعداد بعض الأنشطة والتدريبات لكل وحدة تعليمية ،وكذلك تم صياغة أهداف لكل وحدة شاملة المجالات المعرفية والمهارية،

وختاما نسأل الله التوفيق والسداد وأن يكون عملنا خالصا لوجهه إنه هو السميع العليم.



الوحدة الأولى

الدولة الأمويّة

الوحدة الأولى

الدولة الأمويّة

(41هـ -132هـ/661-749م)

أولاً : (نشأة الخلافة الأموية 41هـ) .

ثانياً : (أبرز الخلفاء الأمويين بعد يزيد بن معاوية) .

ثالثاً : (الفتوحات الإسلامية في عهد بني أمية) .

رابعاً : (الحركة العلمية في عصر دولة بني أمية) .

خامساً : (نهاية حكم بني أمية 132هـ) .

تمهيد:

حققت دولة بني أمية إنجازات كبرى في مجال الفتوح ونشر الإسلام والسنة، وقدمت شخصيات فذة تركت آثارًا ضخمة في ميادين العلم والسياسة والحرب والإدارة، واستمرت تقود المسلمين –آنذاك– على اختلاف أجناسهم وألوانهم أكثر من تسعين عامًا في دولة واحدة محافظة على الإسلام وشعائره، امتدت من حدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا وامتدت شمالا حتى حدود جنوب فرنسا وامتدت جنوبا حتى بلاد النوبة.

أولاً : (نشأة الخلافة الأموية 41هـ) .

تأسست الخلافة الأموية عام الجماعة سنة 41 هـ، إِثْر تنازل الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - م جميعًا عن الخلافة؛ رغبةً في حقن دماء المسلمين، وتوحيدًا لكلمتهم بعد الذي حدث في الفتنة الكبرى من أحداث ومعارك، فكانت هذه النشأة قمعًا لأهل الفتنة، وتخييبًا لآمالهم، وما كانوا يرجونه لأمة الإسلام من الشر، كما كانت مصدرَ سعادةٍ واستقرارٍ للمسلمين بعد الفتن والقتال؛ ولذا كانت خلافة معاوية تامَّة الشرعية وماذلك الا من دلائل نبوة نبينا الكريم حين قال عن سبطه الحسن وهو صبي صغير :" إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين" فتحقق ماقال الصادق المصدوق - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-.

تقييم عصور دولة بني أمية:-.

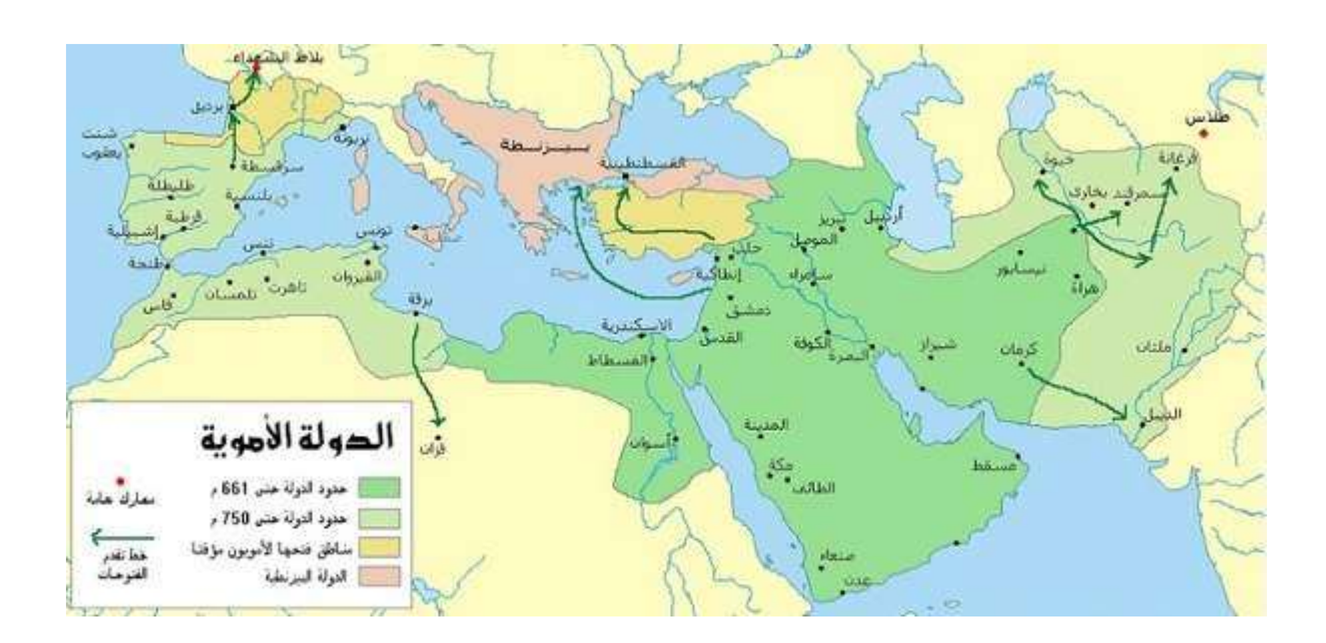
يمكن تقييم تاريخ الدولة الأموية من حيث القوة والضعف على النحو الآتي:

1-فعصر القوة الأول امتد من عام 41 إلى 64 هـ، وشمل عصر خليفتين هما: معاوية بن أبي سفيان ، وابنه يزيد.

2-عصر القوة الثاني امتد من عام 64 إلى 125هـ، وشمل سبع خلفاء هم :مروان بن الحكم ، وعبدالملك بن مروان ، والوليد بن عبدالملك ، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز بن مروان، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك.

3-وأماالعصر الثالث فهو عصر ضعف وانتهاء دولة بني أمية فقد امتد من عام 125 إلى نهاية الدولة في 132هـ، وشمل عددًا من الخلفاء.

-الخليفة المؤسس معاوية بن أبي سفيان الأموي - -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : (41هـ-60هـ/661-679م):



اسمه ونسبه وفضله:-

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ،يكنى بأبي عبدالرحمن القرشي الأموي خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين ،يلتقي مع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-في عبد مناف ولد قبل البعثة بخمس سنين .

أسلم معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قبل أبيه في عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة وأظهر إسلامه عام الفتح ،ومما ورد في فضله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

1-قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :"اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب "[1]

2-عن عبدالرحمن بن أبي عميرة الأزدي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه ذكر معاوية وقال :"اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به "[2]

3- وعن أم حرام بنت ملحان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنها سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول:"أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا (أي وجبت لهم الجنة)..."[3] نقل الحافظ في الفتح عن أحد شراح البخاري قوله في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر.

4- وعن أبي الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال :"مارأيت أشبه صلاة برسول الله من أميركم؛هذا يعني معاوية" ذكره الذهبي في السير وابن عساكر في تاريخ دمشق.

5- وسئل عبدالله بن المبارك: "عمر بن عبدالعزيز أفضل أم معاوية ؟فقال غبار في أنف معاوية حين قاتل مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خير وأفضل من عمر بن عبدالعزيز".

6- قال أبوالعلاء قبيصة بن جابر الأسدي -رَحِمَهُ اللَّهُ- :"مارأيت أحداً أعظم حلماً ولاأكثر سؤدداً ولا أبعد أناةً ولا ألين مخرجاً ولاأرحب باعاً بالمعروف من معاوية".

7- قال أبو توبة ربيع بن نافع الحلبي :"معاوية سِترٌ لأصحاب محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ماوراءه ".

8-وسئل الإمام أحمد بن حنبل :"ماتقول رحمك الله فيمن قال : لاأقول إن معاوية كاتب الوحي ولاأقول إنه خال المؤمنين ،فإنه أخذها بالسيف غصباً ،فقال أبو عبدالله :هذا قول سوء ردي يجانب هؤلاء القوم ولايجالسون ويبين أمرهم للناس "[4]

---

[1] رواه أحمد وصححه الألباني.

[2] رواه أحمد والترمذي.

[3] رواه البخاري.

[4] رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح.

خلافته:- تعد خلافة معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بدأ من عام 41هـ حيث تنازل له الحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- حقنا لدماء المسلمين وتوحيداً لكلمتهم واستمرت حتى وفاته في رجب عام ستين من الهجرة وقد كانت خلافته خيرا للمسلمين وانتهى الاقتتال وزال تفكير الأعداء باستعادة المراكز التي تخلوا عنها إذ رجع المسلمون فوجهوا قوتهم إلى مناطق الثغور وانطلقوا للجهاد والدعوة والعمل فعادت أيام الفتح ،لذا عرف بدء خلافته بعام الجماعة إذ توحدت كلمة المسلمين بعد اختلاف واجتمعت جيوشهم بعد افتراق فكان ذلك خيراً لهم وسروراً لأنفسهم .

وأيام معاوية أول أيام الملك فهو أول ملوك الإسلام وخير ملوك الإسلام -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وأرضاه .

تولى معاوية الخلافة ووراءه تجربة طويلة في الحكم والإدارة وسياسة الناس، فولايته على الشام قبل الخلافة لمدة تزيد عن العشرين عامًا، أكسبته خبرة كبيرة هيأت له النجاح في خلافته، والحقيقة أن معاوية كان يتمتع بصفات عالية ترشحه لأن يكون رجل الدولة الأول، وتجعله خليقًا بهذا المنصب الخطير، وقد شهد له بذلك مؤرخو السُنَّة بناءً على رأي الصحابة الذين عاصروه، يقول ابن تيمية: "فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خيرًا من معاوية، إذا نُسِبَتْ أيامه إلى أيام من بعده، أمّا إذا نُسِبَتْ إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل ." وهكذا يكاد إجماعُ علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن تلاهم ينعقد على الثناء على معاوية وجدارته بالخلافة، وحُسْنِ سياسته وعدله، مما مكَّن له في قلوب الناس، وجعلهم يجمعون على محبته.

كان معاوية مجاهدًا في سبيل الله محبًّا للجهاد، كما كان إداريًّا بارعًا، واقتصاديًّا خبيرًا؛ لذا شهد عهده أعظم الرخاء للمسلمين، وكان المسلمون سعداء بحكمه.

-خلافة يزيد بن معاوية وأهم الأحداث فيها:
(60 -64هـ/679-683م):

كبرت سن معاوية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- فعهد بالخلافة لابنه يزيد، وفي ذات الوقت اختياره يجمع الأمة، ويمنع اختلافهم ،وأخذ البيعة من المسلمين على ذلك ، ثم تُوُفِّي معاوية بدمشق في رجب سنة 60 هـ، وجُدِّدَت البيعة ليزيد بعد وفاة أبيه.

وفي عصر يزيد حدثت عدة أحداث خطيرة وهي مقتل الحسين بن علي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- في كربلاء، ووقعة الحرة بلمدينة ،وحصار مكة

-وقعة الحرة بالمدينة:

كانت حادثة كربلاء الشرارة التي أشعلت الحرب، كما تركت آثارًا سياسية خطيرة في العالم الإسلامي، فعندما وصل خبر مقتل الحسين بن علي - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - إلى الحجاز أعلن عبد الله بن الزبير - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - خلع يزيد، وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس في مكة، وكان ذلك سببًا في عزل عمرو بن سعيد بن العاص عن الحجاز، وتولية الوليد بن عتبة بن أبي سفيان مكانه، ثم لم يلبث أن عزله وأَمَّر عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وكَثُرَ الحديث في المدينة عن يزيد، فأرسل إليهم النعمان بن بشير يحذرهم الفتنة، ويذكرهم الطاعة، فأبوا عليه، ثم أعلنوا خلع يزيد، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل، ووثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان، والي يزيد، ثم حاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم، وكان عددهم حوالي الألف شخص.

فلما علم يزيد بن معاوية بذلك أرسل إليهم جيشًا عليه مسلم بن عقبة المري، وإن حَدَثَ له حَدَثٌ فالأمير من بعده الحصين بن نمير السكوني، وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش، والتقى ببني أمية بوادي القرى، وقد أخرجهم أهل المدينة.

وصل مسلم بن عقبة المري إلى المدينة فأمهل أهلها ثلاثة أيام فأبوا إلا القتال، وكان عليهم: عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن مطيع، ومعقل بن سنان، وعبد الرحمن بن

زهير بن عوف الزهري ابن أخ عبد الرحمن بن عوف، وكان مجيء مسلم عن طريق الحرة الشرقية، ووقعت الوقعة وكانت في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وستين للهجرة، وقُتِلَ أكثر سادة أهل المدينة في هذه الوقعة

حصار مكة:-.

وعندما انتهى مسلم بن عقبة المري من المدينة اتجه بجنده نحو مكة يريد عبد الله بن الزبير، وخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي، ولم يقطع مسلم مسافة حتى نزل به الموت، فتولى أمر الجند بعده الحصين بن نمير السكوني حسب وصية يزيد بن معاوية فسار إلى مكة، وقد بايع أهلها والحجاز كله عبد الله بن الزبير، فقاومه ابن الزبير وقُتِلَ من أصحابه المسور بن مخرمة، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وأخوه المنذر بن الزبير، واستمر القتال بقية المحرم وصفر من سنة أربع وستين، وفي أوائل ربيع الأول قُذِف أهل مكة بالمنجنيق، فأُحْتِرِقَ البيت بالنار جراء رمي المنجنيق ، ثم جاءهم نعي يزيد في مطلع ربيع الثاني، وقد توفي في 14من ربيع الأول عام 64 هـ.

مبايعة أهل مكة عبد الله بن الزبير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- على الخلافة:-

توفي يزيد وأهل الشام يحاصرون أهل مكة وابن الزبير، ووصل الخبر إلى ابن الزبير قبل أن يصل إلى أهل الشام، فناداهم أهل مكة: لماذا تقاتلون؟ لقد هلك يزيد، فلم يصدقوهم، واستمروا في قتالهم، فلما تأكدوا من النبأ توقفوا عن القتال..

بعث الحصين بن نمير إلى عبد الله بن الزبير، والتقى معه، وقال له: إن يكُ هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هَلُمَّ فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام؛ فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتُؤَمِّن الناس، وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة. ولكن ابن الزبير خشي من الذهاب إلى الشام، ولم يرغب في مغادرة مكة ،وكان رأي الحصين أن هناك بالشام من يطالب

بالخلافة فماذا يكون موقفه؟ أمّا إذا ذهب عبد الله بن الزبير فإنه لن يطالب فيها أحد لمكانة ابن الزبير أولاً، ولعدم وجود أبناء كبار ليزيد أو أحد من أسرته يفكر في هذا الأمر..

ولما لم يتفق ابن الزبير والحصين بن نمير سار جيش الشام إلى بلدهم تاركين الحجاز مبايعًا لابن الزبير.

اعترض بعض علماء المدينة على خلع يزيد بن معاوية ، ولم يؤيدوا من قام بخلعه، وقاموا بنصح إخوانهم واعتزلوا الفتنة، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية)، والنعمان بن بشير الأنصاري، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - جميعًا، وسعيد بن المسيب سيد التابعين -رَحِمَهُ اللَّهُ-.



أسئلة

س1/ تحدث عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (اسمه ونسبه وفضله)

س2/ تكلم عن خلافة يزيد بن معاوية.

س3/ اكتب نبذة مختصرة عن:

أ-وقعة الحرة .

ب-مبايعة أهل مكة لعبدالله بن الزبير

س4/ ابحث مع زملائك في الأنترنت عن مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .



أبرز الخلفاء الأمويين بعد يزيد بن معاوية

-مروان بن الحكم 64هـ/883م -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

كانت هذه هي مميزات عهد القوة في الدولة الأموية، أمّا عهد الفتنة الذي تخلَّل عهدي القوة فقد بدأ بموت يزيد بن معاوية، ثم تنازل ابنه معاوية بن يزيد عن الخلافة؛ واعتزاله الكامل في بيته حتى توفي بعد أيام أو أشهر، ومن هنا حدث فراغ في الحكم أسفر عن العديد من الصراعات بين أجنحة البيت الأموي بينهم وبين بعض، في الوقت الذي أعلن عبد الله بن الزبير – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – نفسه خليفةً، وبايعه أغلب الولايات الإسلامية؛ استطاع الأمويون الاتفاق فيما بينهم، وبايعوا مروان بن الحكم بالخلافة في مؤتمر الجابية في ذي القعدة سنة 64هـ.

كان مروان بن الحكم الصحابي الجليل من سادات قريش وفضلائها، وقد قاتل يوم الدار قتالاً شديدًا، وقَتَلَ بعض الخوارج، وكان على الميسرة يوم الجمل، وكان علي بن أبي طالب يكثر السؤال عن مروان حين انهزم الناس يوم الجمل، يخشى عليه من القتل، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: إنه يعطفني عليه رحم، وهو سيد من شباب قريش.

بعد أن استقرت الأمور لمروان في بلاد الشام، توجه نحو مصر لاستردادها من عبدالله بن الزبير ، فدانت له بالطاعة، وأقام مروان بن الحكم في مصر نحو شهرين، ثم غادرها في أول رجب سنة 65هـ بعد أن وطَّد أمورها وأعادها ثانية للحكم الأموي، كما ولَّى عليها ابنه عبد العزيز وزوَّده بالنصائح المهمة، ثم قفل راجعًا إلى بلاد الشام.

-عبد الملك بن مروان 65هـ/684م:

وقد توفي مروان بن الحكم بدمشق لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة 65هـ، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك بعد عودته من مصر، وتولى ابنه عبد الملك الخلافة من بعده.

كانت بداية الحكم صعبةً على عبد الملك، إذ كان عليه مواجهة عبدالله بن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - والذي بايعه الناس بالخلافة وأعلن نفسه خليفة اجتهاداً منه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وذلك بعد وفاة يزيد بن معاوية وولاية ابنه معاوية من بعده وترك الأخير للخلافة مما سبب فراغا في الحكم فبايع الناس ابن الزبير ؛ وكان قد التف حوله أهل الحجاز ونجد وبايعه أهل مصر ولم يبق للمروانيين سوى الشام ، كما كان على عبدالملك أيضا مواجهة ثورات عديدة ضده، كان أهمها ثورة التوابين؛ التي استطاع أن يقضي عليها في معركة غير متكافئة في عين الوردة، قُتِلَ فيها معظم التوابين، وزعيمهم سليمان بن صرد، وكان ذلك في ربيع الآخر سنة 65هـ، ثم واجه ثورة المختار الثقفي، وتمكن المختار من هزيمة عبيد الله بن زياد وقتله، فتريث عبد الملك في مواجهته مرةً أخرى، وترك الأمر لخصمه ابن الزبير تلك المهمة حتى يُضعِف الطرفين فيستغل الأمر لصالحه، وبالفعل حاصر مصعب بن الزبير المختار الثقفي في قصره بالكوفة، وقتله سنة 67هـ، بعد ذلك حانت المواجهة بين عبد الملك وعبد الله بن الزبير المقيم بمكة ، وتمكن عبد الملك من الانتصار على مصعب بن الزبير أولاً، ثم أرسل جيشه بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي السفاح وحاصر عبد الله بن الزبير في مكة، وتجرَّأ الحجاج فضرب الحرم بالمجانيق؛ معتبرًا أن ابن الزبير بالتجائه إلى الحرم ممن يلحدون فيه، ولم يتوقف عن ضرب الحرم إلا لأداء الحُجَّاج للمناسك، ثم عاد مرةً أخرى، حتى استسلم كثير من أتباع ابن الزبير، وطلبوا الأمان من الحَجَّاج، فأعطاهم إياه، ثم قتل ابن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في السابع عشر من جمادى الأولى سنة 73 هـ، وبذلك انتهت دولته التي استمرت حوالي تسع سنين..

وقد تُوُفِّيَ عبد الملك في النصف من شوال عام 86 هـ، واستخلف من بعده ابنه الوليد، ثم من بعده ابنه الثاني سليمان.

-الوليد بن عبد الملك بن مروان86هـ/705م:

كان الوليد مهتمًّا ببناء المساجد، كما اعتنى بتعبيد الطرق وبخاصة تلك التي تؤدي إلى الحجاز لتيسير السفر على الحجاج إلى بيت الله الحرام، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار، وعمل الفوارة في المدينة، وأمر لها بقُوَّام يقومون عليها، وأن يُسقَى منها أهل المسجد.

وإذا كان عهد الوليد بن عبد الملك قد اتسم بالإصلاح والتعمير في الداخل، ففي الخارج شهد أعظم الفتوحات بعد فتوحات الخلفاء الراشدين – وقد برز في عهده عدد من القادة العظام الذين اتصفوا بالجسارة والإقدام والتضحية في سبيل الله، فاضطلعوا بعبء الفتوحات في الشرق والغرب؛ ففي المشرق برز محمد بن القاسم الثقفي ففتح إقليم السند ،وإلى الشمال الشرقي فيما وراء النهر أرسل الوليد بن عبدالملك قتيبة بن مسلم الذي فتح هذا الإقليم الشاسع وأدخله تحت راية الإسلام

أما في المغرب فقد تألق قائدان عظيمان هما: موسى بن نصير، وطارق بن زياد، اللذان فتحا الأندلس سنة 91هـ، كما اضطلع أخو الوليد بن عبدالملك وهو مسلمة بن عبد الملك وأبناؤه بمنازلة الدولة البيزنطية والضغط عليها، والاستيلاء على الكثير من حصونها وقلاعها.

والخلاصة أن عهد الوليد كان عهد الرخاء الواسع والازدهار العظيم، نَعِمَ الناسُ فيه بالهدوء والاستقرار، والبناء والعمران في الداخل، ووصلت فيه حدود الدولة الإسلامية من مشارف بلاد الصين حتى الأندلس.

وقد تُوُفِّي الوليد بن عبد الملك في منتصف جمادى الآخرة سنة 96 هـ، فخلفه أخوه سليمان بن عبد الملك.

-سليمان بن عبد الملك 96هـ/714م:

وعلى نفس النهج كان سليمان بن عبد الملك؛ إذ كان ورِعًا تقيًّا، ويتضح ذلك من خطبه فلا تكاد خطبة من خطبه تخلو من حث الناس على التقوى والخوف من الله ومدارسة القرآن. وتتضح هذه السيرة الطيبة من هذه الخطبة؛ فعن جابر بن عون الأسدي، قال: أول ما تكلَّم به سليمان حين ولي الخلافة أن قال: "الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، ومن شاء أعطى، ومن شاء منع. إنَّ الدنيا دار غرور. يا عباد الله، اتخذوا كتاب الله إمامًا، وارضوا به حكمًا، واجعلوه لكم قائدًا، فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتاب بعده."

كما اتخذ سليمان بن عبد الملك بطانة من صلحاء الرجال أمثال عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة وغيرهما، وقد أثر ذلك في سليمان بن عبد الملك تأثيرًا كبيرًا، فقد كان عمر بن عبد العزيز دائم التذكير بمسئوليته نحو رعيته؛ فيُروى أن سليمان بن عبد الملك حج بالناس سنة 97 هـ وهو خليفة، فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز: ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصِي عددهم إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره. فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء رعيتك اليوم، وهم غدًا خصماؤك عند الله. فبكى سليمان بكاءً شديدًا، ثم قال: بالله أستعين.

وكان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك، ويقول: افتتح خلافته بخير وختمها بخير، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

وتُوُفِّي سليمان بن عبد الملك في مرج دابق، مرابطًا في سبيل الله في شهر صَفَر سنة 99 هـ، وبُويعَ في اليوم نفسه لابن عمه عمر بن عبد العزيز.

-عمر بن عبد العزيز99- 101هـ/717-719م:

ومن أشهر خلفاء بني أمية عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- - رغم قصر مدته - إذ بدأها في صفر 99 هـ، وانتهت بموته -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شهر رجب سنة 101 هـ، أي أنها استمرت حوالي سنتين وخمسة أشهر.

إن من أهم ما يميز عهد الخليفة عمر بن عيدالعزيز في سياسته في الخلافة، حرصه على العمل بالكتاب والسنة، ونشر العلم بين رعيته، وتفقيههم في الدين وتعريفهم بالسنة، ومنطلق عمر في ذلك فهمه لمهمة الخلافة، فهي حفظ الدين وسياسة الدنيا به، فهو يرى أن من أهم واجباته تعريف رعيته بمبادئ دينهم، وحملهم على العمل بها، فورد عنه أنه قال في إحدى خطبه: إن للإسلام حدودًا وشرائع وسننًا، فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان، فلئن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها، وإن أَمِتْ فما أنا على صحبتكم بحريص. كما أمر عماله أن يجروا الرواتب على العلماء؛ ليتفرغوا لنشر العلم، وانتدب العديد من العلماء لتفقيه الناس في الدين، فبعث يزيد بن أبي مالك ليفقه بني نمير ويُقْرِئَهم، وبعث نافع مولى ابن عمر إلى أهل مصر ليعلمهم السنن، وكان قد بعث عشرة من الفقهاء إلى إفريقية يفقهون أهلها.

سياسة عمر بن عبد العزيز الداخلية:-

ولم تنحصر مهمة هؤلاء العلماء في عهد عمر بن عبدالعزيز في التعليم فحسب، بل منهم من أسند إليه بعض الولايات، ومنهم من تولى القضاء ومنهم من تفرغ للدعوة والجهاد في سبيل الله، وهذا الاهتمام الذي تميز به منهج عمر لتعليم الناس، وتفقيههم بأمور دينهم له أبعاد سياسية وآثار أمنية، ذلك أن نشر الوعي الديني الصحيح والفقه بين أفراد الرعية له أثر في حماية عقول أبناء الأمة من عبث الأفكار التي ينعكس خطرها على الاستقرار السياسي والأمني، كأفكار الخوارج وغيرهم..

كان عمر بن عبد العزيز يدرك عظم الأمانة الملقاة على عاتقه، وأنه مسئول عن كل فرد في رعيته؛ فلذلك نجده دائم التفكير فيما يصلحهم، فقد أهمه وقوفه بين يدي ربه، وماذا يقول له إذا سأله عنهم يوم القيامة.

تعتبر سياسة عمر بن عبد العزيز الداخلية من أهم الجوانب في خلافته، فقد كان عمر بن عبد العزيز إداريًا فذًّا، ولا عجب في ذلك فقد عركته تجربة الإدارة منذ أن كان واليًا على المدينة، ثم

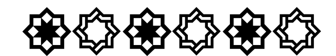
تكاملت عناصر التجربة بعد أن أصبح من أقرب الناس إلى سليمان بن عبد الملك، يرقب الحوادث عن قرب، ويتمرس على شئون الدولة، وتسيير دفَّة الحكم فيها، وما أن تولى مقاليد الخلافة حتى ذهب يبذل كل جهده، ويُفني ما تبقى من عمره في إصلاح أمور الدولة، واستقرار الأمن والرخاء في ربوعها، وتحقيق العدالة والكفاية في كل أرجائها، وقد اتخذ لذلك منهجًا كان من أبرز معالمه الحرص على مال المسلمين، والمحافظة على الوقت والجهد، وسرعة التصرف في الأمور، وحسن اختيار القضاة والولاة والموظفين .

كما كان لعمر بن عبد العزيز وقفته في السياسة الداخلية؛ ليعيد ما أعوجَّ من الأمور إلى نصابه، ويحاول إصلاح ما رآه انحرافًا عن الجادة سواء في الناحية الإدارية أو المالية أو غيرها، كذلك كانت له وقفة مماثلة في السياسة الخارجية، فقد رأى أن مساحة الدولة قد اتسعت، وأن أطرافها قد ترامت وتباعدت، ولعل كثيرًا من المشاكل والأخطاء التي وقع فيها بعض الولاة قد نشأت عن هذا الاتساع الكبير في مساحة الدولة، فكل إقليم كان يضيف إلى مشاكل الدولة عبئًا جديدًا، فرأى أنه من الحكمة إيقاف الفتوحات، أو الحد منها على الأقل؛ لأن التوقف عند حدود ما فُتح من بلاد وأقاليم، والعمل على حَلِّ مشاكلها، ونشر وتمكين الإسلام فيها ، سوف يكون أجدى من المضي في الفتوحات، بل ربما لا تكون هناك حاجة بعد ذلك إلى فتح جديد؛ لأن الناس سيقبلون على الإسلام من تلقاء أنفسهم، لأنهم سيجدون فيه كل ما يرضيهم، روحيًّا وماديًّا، وما يحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد تحقق ما تصوره في ذلك وزادت حركة الإقبال على الإسلام في البلاد المفتوحة في عهده زيادة كبيرة، وأخذ عمر في إرسال الدعاة من خِيرَة العلماء ليدعوا الناس إلى الإسلام، بدلاً من إرسال الجيوش للفتح، كما بدأ يرسل الكتب إلى الملوك والأمراء المعاصرين يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى أمراء ما وراء النهر، وإلى ملوك السند، يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم على بلادهم، ويكون لهم ما للمسلمين

وعليهم ما عليهم، فلما وصلتهم رسائله وكانت قد بلغتهم سيرته وعدله؛ فقبلوا وأسلموا، وتسمَّوا بأسماء عربية.

لم تطل حياة عمر بن عبد العزيز طويلاً، فقد ادركته المنية ولم يتجاوز الأربعين من عمره، ويبدو أن انهماكه في أمور المسلمين ومتابعة السهر والعمل في شئون الدولة، وعدم اهتمامه بأمر طعامه وشرابه، قد أثَّر في صحته فلم يعد جسمه يقوى على المقاومة والاحتمال..

وقد تُوفِّي عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة 101هـ، وتولى الخلافة بعده ابن عمه يزيد بن عبد الملك.



أسئلة

س1/ اكتب ماتعرفه عن مروان بن الحكم –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– .

س2/ تحدث عن أهم الأحداث في عهد عبدالملك بن مروان.

س3/ اكتب ماتعرفه عن خلافة سليمان بن عبدالملك.

س/ 4 تحدث عن سياسة عمر بن عبدالعزيز الداخلية.



الفتوحات الاسلامية في عهد بني أمية

مرت الدولة الأموية بدءاً من عهد معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إلى نهاية دولة بني أمية سنة (132هـ) بمراحل مختلفة من القوة والضعف ،وقد تخلل ذلك قيام فتوح عظيمة بمناطق واسعة خلال مراحل القوة في هذه الدولة تعد من أهم الفتوح عبر التاريخ الإسلامي، حيث انتشر الإسلام في العديد من المناطق وقتذاك كان من أهمها :

الفتوح في بلاد الروم:

كان معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- صاحب خبرة في قتال الروم منذ أن أشترك في الفتوح الأولى ، أيام أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، وحين ألت إليه الخلافة استمرت هذه الغزوات في ضرب الحدود الرومية فكان يرسل الصوائف والشواتي ، وهي جيوش تخرج كل عام في الصيف أو الشتاء تغير على الروم وتغزو بلادهم ، وقد نجحت هذه الحملات في ارباك الروم وإضعافهم باستمرار ، كما أنها تعد المسلمين لمحاولة غزو القسطنطينية وفتحها وإسقاط دولة الروم ، وفي سنة (48هـ) جهز معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- جيشا كثيفا بريا وبحريا لفتح القسطنطينية ، وقد كان في هذا الجيش مجموعة من الصحابة منهم " عبدالله بن عباس " و"عبدالله بن عمر" وعبدالله بن الزبير " و"أبو أيوب الأنصاري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- " وكان قائد هذا الجيش " يزيد بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- والمشهور بيزيد الخير أخو معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " ،وقد تمكن الجيش من اختراق جبال (طوروس)عبر آسيا الصغرى ولاقى الصعاب والمشاق حتى وصل إلى القسطنطينية حيث وقعت عندها العديد من المعارك بين

المسلمين والروم الذين استماتوا في الدفاع عن عاصمتهم ، ولم ينجح المسلمون في اقتحام القسطنطينية لعدة أسباب منها شدة البرد وطول فترة الحصار ، إضافة إلى قوة أسوار القسطنطينية وحصونها ، واستخدام الروم لسلاح النار الإغريقة التي عملت على إحراق سفن المسلمين فاضطر المسلمين إلى الإنسحاب ،وقد استشهد اثناء الحصار [أبو أيوب الأنصاريﷺ]ودفن بالقرب من القسطنطينية وكانت هذه الغزوة هي المحاولة الأولى لفتح القسطنطينية وقد لحقتها محاولة أخرى في خلافة معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- سنة (54هـ)حيث خرجت جيوش برية وبحرية من بلاد الشام وتمكنت من الاستيلاء على بعض المدن والجزر المجاورة للقسطنطينية واتخذتها قواعد عسكرية أخذت تشن منها الحملات على القسطنطينية وتمكنت من حصارها إلا أن هذا الحصار لم يكن كاملا نظرا لموقع القسطنطينية الجغرافي الذي أعطاها حصانة طبيعية تمنع محاصرتها بالكامل ، حيث كان البحر يمنع ذلك في جوانب مختلفة من المدينة وقد استمر الجيش الإسلامي مرابطا بالقرب منها من سنة(54هـ) حتى سنة (60هـ) ،إلا أنه لم ينجح في فتحها فعاد هذا الجيش بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بأمر من ابنه يزيد.

وقد تمكن المسلمون في خلافة معاوية من فتح جزيرة (رودس) سنة (52هـ) ونزلها جماعة من المسلمين أخذوا يعترضون سفن الروم ويمنعونها من الإغارة على المسلمين وبلادهم.

وقد اضطربت الأحوال في الدولة الأموية بعد وفاة معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، واختلفت العلاقة مع الروم وخفت الهجمات الإسلامية عليهم،وعندما استقرت الأحوال في خلافة عبد الملك بن مروان سنة(73هـ) بعث الصوائف والشواتي إلى آسيا الصغرى وأكثر من غزو الروم حتى أرهق قواهم ، وتمكن المسلمون بقيادة محمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك من تخريب قلاع الروم وتحصيناتهم بالقرب من بلاد الشام حتى يسهل على المسلمين اجتياح آسيا الصغرى .

وبعد وفاة عبد الملك بن مروان قام من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك بمواصلة غزو أراضي الروم، وتمكن المسلمون من الاستيلاء على طرطوس، وهرقلة، وعمورية، وتمهد الطريق إلى القسطنطينية.

وفي هذه الأثناء كان الوليد يعد الجيوش والأساطيل الإسلامية لغزو القسطنطينية عاصمة الروم ، وقد توفي قبل إتمام المشروع، فعمل من بعده الخليفة [سليمان بن عبد الملك] على إتمامه، وسير الجيوش والأساطيل الإسلامية سنة (98 هـ) لغزو (القسطنطينية)، وكان يقود هذه الحملات [مسلمة بن عبد الملك]، وقد وصلت الجيوش إلى أسوار القسطنطينية وعملت على حصارها ولاقت المشاق العظيمة في ذلك نظرا لشدة البرد في ذلك العام ونقص التموينات نتيجة لذلك، وفي أثناء الحصار توفي سليمان بن عبد الملك، وتولى من بعده " عمر بن عبد العزيز" الذي غير سياسة الدولة، حيث أمر جيوش المسلمين حول القسطنطينية بالعودة، وآثر أن يركز جهوده على نشر الإسلام في المناطق المفتوحة والخاضعة للدولة الإسلامية بدلا من فتح أراض جديدة ولاشك أن الحملات الأموية على القسطنطينية، وإن لم تنجح في فتحها، فقد نجحت في إثبات قوة المسلمين أيام الأمويين، وقدرتهم على اختراق دفاعات الروم في آسيا الوسطى وغيرها .

(ب)فتوح الشرق(فارس وماوراء النهر):

قام الأمويون ابتداء من عصر معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بفتوحات عظيمة في بلاد المشرق، إضافة إلى لجهود المبذولة في تثبيت الإسلام في المناطق المفتوحة سابقا أو التي حاول أهلها الخروج عن طاعة الدولة الإسلامية، ومن أهم تلك الفتوح ما قام به ولاة العراق من فتوح في (فارس) و(خراسان) و(سجستان) والتي حاول أهلها الانتفاض على المسلمين والامتناع عن دفع الجزية، وأولى تلك الحملات هي التي قام إرسالها عبد الله بن عامر بن كريز والي معاوية على البصرة سنة (41 هـ)، وتمكن من خلالها من فتح أو إعادة فتح العديد من

المناطق، ومن أشهرها: هيرات ، وكابل، و غزنة ،وبلخ، و قندهار، من مدن أفغانستان حالياً، كما قام بنقل آلاف الأسر المسلمة من بلاد العراق إلى تلك المدن تمهيدا لانطلاق الفتح في بلاد ما واراء النهر.

كما استعمل معاوية بن أبي سفيان (عبيد الله بن زياد) على خراسان، وأوصاه بغزو بلاد ما وراء النهر- جيحون- وكانت تحتوي على أقاليم ومدن كثيرة فعبر عبيد الله إلى ما وراء النهر وتمكن من فتح بعض مدنها ومنها : ترمذ، وبخارى سنة (54 هـ)، ثم تولى خراسان "سعيد بن عثمان بن عفان" ففتح سمرقند وأعاد فتح ترمذ وبخارى بعد انتفاضهما وفرض على أهلها الجزية كما أن (المهلب بن أبي صفرة) قاد الفتوح جنوبي كابل حتى وصل بالمسلمين إلى أرض الهند وأوقع بالمشركين وغنم منهم غنائم كثيرة وفي خلافة "عبد الملك بن مروان" قاد الفتوح في بلاد ما وراء النهر" المهلب بن أبي صفرة" إلا أن جزءاً من جهوده كانت تتركز في تثبيت أقدام المسلمين والقضاء على الخوارج في تلك المناطق.

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك أيضاً قام الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق بتعيين" قتيبة بن مسلم الباهلي" على خراسان سنة (86هـ) ، فبدأت الفتوح في بلاد ما وراء النهر يدفعها الحماس لنشر الإسلام لتثبيت أركان الدولة الإسلامية في تلك البقاع، وقد بدأ قتيبة وجنده بفتح مدينة (بلخ) التي تقع على مفترق الطرق المؤدية إلى الصفد، و الصين، ومنها تقدم حتى عبر نهر جيحون، وخضعت له معظم القبائل الموجودة في المنطقة وتمكن من الاستيلاء على (بيكند) سنة (87هـ) ،وهي من المدن المهمة في طريق (بخارى) واستولى على بعض المدن الأخرى ، ورغم محاولة القبائل التركمانية القضاء على جيش المسلمين فقد تمكن قتيبة سنة (90 هـ) من فتح مدينة (بخارى) وفر منها ملكها.

وفي سنة (93 هـ) قام قتيبة بغزو مناطق (خوارزم) على مصب نهر جيحون بالقرب من بحيرة خوارزم ، وأدخل المنطقة في طاعة الأمويين، ثم غزى قتيبة(سمرقند)، وكانت قد خلعت

الطاعة، فحاول أهلها المصالحة ودفع الجزية فرفض قتيبة إلا أن يقبل أهلها ببناء مسجد في بلدتهم، وأن يضمنوا حمايته، ويؤمنوا من يدخل في الإسلام، ودخل قتيبة سمرقند، ونقل إليها كثيرا من الأسر المسلمة الي ساعدت في نشر الإسلام بها .

وفي سنة (94 هـ) غزى قتيبة بلاد ما وراء النهر ووصل إقليم (الشاش) و (فرغانة) القريبة منه ، وفتح العديد من المدن فيهما ، ووصل سنة (96 هـ) ، إلى حدود الصين، ودارت بينه وبين ملكها المراسلات، حيث قال ملك الصين لرسل قتيبة: انصرفوا إلى صاحبكم فقولو له ينصرف فإني عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه، فقال رسل قتيبة: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله عندكم وآخره عند منابت الزيتون؟ وأن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه، فقال الملك: فما يرضيكم؟ قال رسول قتيبة إن القائد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ الجزية منكم، فقال: فإنّا نخرجه من قسمه فنبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها ثم بعث ملك الصين إلى قتيبة بالهدايا والجزية وبعث بأوان من ذهب فيها من تراب الصين وأربعة غلمان من أبناء الملوك فقبل قتيبة الجزية والهدايا ووطئ التراب وختم الغلمان ثم عاد إلى (خراسان) .

ويتضح من خلال ما سبق أن قتيبة بن مسلم (-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-) كان الفاتح الحقيقي لبلاد ما وراء النهر، وقد تمكن أن يمد فيها نفوذ الدولة الأموية إلى حدود الصين، وكان له دور كبير في نشر الإسلام في تلك البلاد، حيث شجع الناس على اعتناقه واعتنى بنناء المساجد وإرسال العلماء إلى الشرق حتى غدا جل أهل تلك البلاد المفتوحة مسلمين، وبرز منهم علماء أجِلّاء.

(جـ) فتوح السند:

كانت بداية الفتوح الأولى في بلاد السند إبّان خلافة معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - حيث قامت بعض جيوش البصرة بقيادة المهلب بن أبي صفرة سنة (44 هـ) بغزو أطراف السند،

وتمكن من فتح (مكران)، كما غزا المسلمون حوض نهر السند من (سجستان)، وتمكن من فتح بعض المواقع مثل (كش) و (قصدار) وغيرها على أن هذه المناطق المفتوحة لم تُضم إداريا إلى الدولة الأموية في تلك الفترة، بل بقيت السيطرة فيها لغير المسلمين إلى وقت فتوح محمد بن القاسم الثقفي.

وقد اقترن اسم محمد بن القاسم ببلاد السند، فهو الفاتح الحقيقي الأول لها حيث كانت ملجأ للخارجين على الدولة الإسلامية، وكان أهلها كثيراً ما يعتدون على سفن المسلمين في البحر، مما جعل الحجاج بن يوسف والي العراق يلح على الوليد بفتح تلك البلاد، فأذن له الوليد بذلك فجهز جيشا كبيرا قوامه عشرين ألف مقاتل، وعين"محمد بن القاسم" قائداً لذلك الجيش، وكان عمره سبع عشرة سنة .

وفي عام (91 هـ) تحركت الجيوش من بلاد فارس عن طريق الساحل وفي الوقت نفسه تحركت السفن من البصرة تحمل العتاد والرجال وقد تم وصول الجيوش البرية والبحرية إلى (الديبل) وعسكر محمد بن القاسم على أسوارها وحاصرها، وضربها بالمنجنيقات ، واتلف أسوارها وهدم المعبد البوذي فيها وتمكن من دخولها عنوة فهرب أميرها فبنى المسلمون بها مسجدا وأقام جماعة منهم بها ثم تقدم ابن القاسم شمالا في بلاد السند وتمكن من فتح العديد من المواقع ثم دارت معركة شديدة بين ملك السند "داهر" وبين محمد الثقفي بالقرب من نهر السند قتل فيها داهر وقضي على قواته وسار المسلمون يفتحون في بلاد السند حتى وصلوا إلى (ملتان) ، وتمكنوا من فتحها عنوة وكان بها معبد للبوذية يحج إليه أهل السند فهدمه المسلمون وحطموا أصنامه واستقر ابن القاسم في (ملتان) وصارت مركزا رئيسا للمسلمين ، وأخذ ينظم الحاميات الإسلامية ويبني المساجد بمختلف أنحائها ، كما نظم أمورها الإدارية والحربية والمالية ، وتمكن من تأميم سفر المسلمين في البحر ، وبدأ الإسلام ينتشر في تلك المناطق ، وحينما بويع " سليمان بن عبدالملك " بالخلافة سنت (96هـ) قام بعزل" محمد بن القاسم " عن ولاية السند.

فاضطربت أحوالها إلى أن أسلم معظم أهلها وأمرائها عن طريق الدعوة في أيام عمر بن عبدالعزيز (-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-) ولم تخل السند من بعض المشاكل ،ومع ذلك فقد انطلق المسلمون منها لغزو بلاد الهند عدة مرات أيام الأمويين



د) فتوح شمال إفريقيا :

بعد استقرار الأمور لمعاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- كتب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن يرسل الجيوش لاستكمال فتح شمال إفريقيا ، فانطلقت أولى الجيوش سنة (41 هـ) بقيادة عقبة ابن نافع حيث تمكن من فتح العديد من المواقع وقد استمرت حملات عقبة الأولى حتى سنة (45هـ) ، ثم قاد الفتوح في تلك المناطق "معاوية بن خديج السكوني"حيث اتخذ من برقة قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية وامتدت فتوحه إلى منطقة(القرن) بالقرب من القيروان و(بنزرت)، وقد اشترك في تلك الفتوح عبدالله بن الزبير -

-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعبد الملك بن مروان (-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-) ، وقد اشتركت الأساطيل الإسلامية المتحركة من مصر في فتوح سواحل إفريقيا .

وفي سنة (50هـ) تم تعيين "عقبة بن نافع" لأول مرة واليا على الشمال الإفريقي بأمر من معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - ، وكان عقبة من المجاهدين في الشامل الإفريقي منذ أن بدأ المسلمون في فتحها ،وقد شرع عقبة في بداية ولايته بتأسيس مدينة إسلامية تكون قاعدة ثابته لجند المسلمين ،فأنشأ مدينة (القيروان) .

وقد عزل عقبة بن نافع عن ولاية إفريقية سنة (55ه)،وعين بدلا عنه "أبو المهاجر بن دينار"الذي أخذ يحارب البربر بقيادة "كسيلة" وتمكن المسلمون من أسر كسيلة فاستبقاه أبو المهاجر ،ثم لم يلبث أن أعلن إسلامه واشترك مع أبي المهاجر في حرب البيزنطيين في (قرطاج) وما جاورها ،حيث تمكن المسلمون من فتح العديد من المواقع والمدن في سواحل أفريقيا في منطقة تونس حاليا وقد ظل أبو المهاجر واليا على شمال أفريقيا حتى سنة (62هـ) حيث قام يزيد بن معاوية بعزله، وأعاد عقبة بن نافع مرة أخرى لولاية شمال إفريقيا للمرة الثانية.

وصل عقبة إلى (القيروان) وأعاد ترتيبها واستخلف عليها، ثم قال إني بعت نفسي لله- عَزَّوَجَلَّ -فلا أزال مجاهداً حتى أخلص إفريقيا من الكفر وأدخلها في دار الإسلام أو أقضي دون ذلك وخرج في جيش المسلمين فاتحاً في إفريقيا فتمكن من فتح بجاية، وقسنطينة ،وتلمسان، وتاهرت، ثم توجه إلى المغرب الأقصى حيث فتح مدنه الواحدة تلو الأخرى، رغم المقاومة الشديدة التي جوبه بها من قبل قوى البربر والروم المتحدة حتى وصل عقبة في مسيرة إلى ساحل بحر الظلمات-المحيط الأطلسي- فاقتحم فرسه فيه، وأخذ يناجي الله في دعائه، قال فيه: "اللهم إني لا أريد أن يعبد على وجه الأرض أحد سواك، ولو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضا لوطئتها أذكر فيها اسمك العلي العظيم أشهد أني قد بلغت عذراً"

واستطاع عقبة أن يبعث سراياه في بلاد (السوس) ريف المغرب، وفكر في العبور شمالاً إلى الأندلس لكنه قرر العودة إلى القيروان مؤقتا، وفي الطريق كان معه كسيلة أحد قادة البربر وكان يظهر منه الإسلام، ولكن خلافا وقع بينه وبين عقبة فاستغل انفصال عقبة عن أصحابه عند تهوده(جنوب الجزائر حالياً) وكان في طليعة قليلة من الجند والجيش خلفه ، فخرج عليه كسيلة مع عدد من رجاله وكانوا كثر ودارت بينهم معركة قتل فيها عقبة ومن معه وذلك سنة (63هـ).

أدى مقتل عقبة إلى اضطراب أحوال المغرب وثورتهم على المسلمين حتى ساءت أوضاعهم فاضطروا إلى مغادرة شمال إفريقيا فتركوا(القيروان) متجهين إلى(برقة) في الشرق، وأصبحت السيطرة في (القيروان) وغيرها "لكسيلة".

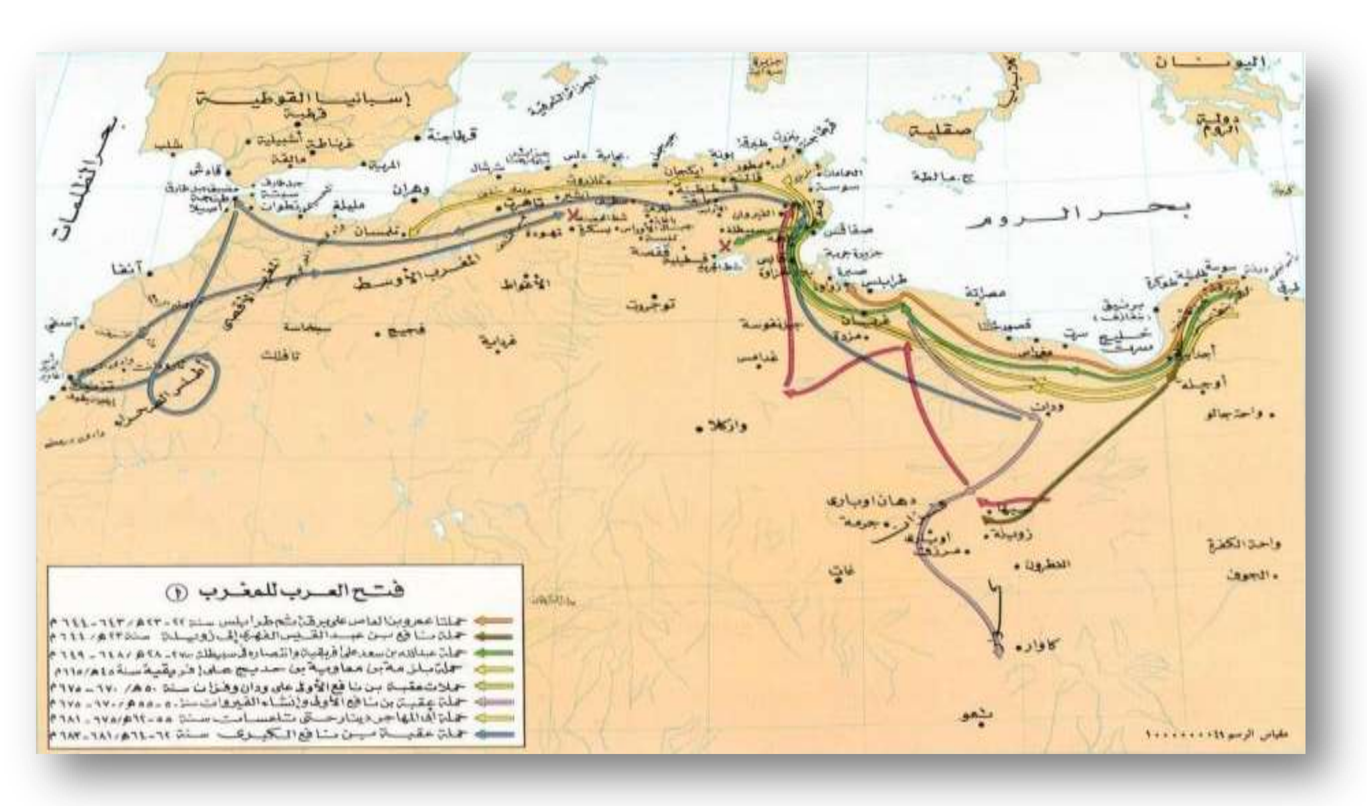
وحينما استقرت الخلافة "لعبدالملك بن مروان" ولَّى " زهير بن قيس البلوي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - " على إفريقيا ،فتوجه بجيش كبير من المسلمين قاصدا القيروان سنة 66هـ ووقعت بينه وبين كسيلة ومن معه من جيوش الروم معركة كبيرة انتهت بقتل كسيلة والقضاء على قواته ، وتمكن زهير من ضبط الأمور وبسط الأمن في معظم شمال إفريقيا إلا أن الروم هاجموا (برقة) في الشرق عن طريق البحر ،وأسروا جموعا من المسلمين فيها فتوجه إليهم زهير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في قلة من أصحابه ،فتمكن الروم من قتله سنة 67هـ وقيل سنة 69هـ وقيل غير ذلك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ،و(كان ذلك قرب مدينة درنة حالياً)

ثم التف البربر حول امرأة منهم تسمى "الكاهنة" تمكنت من الاستيلاء على معظم شمال إفريقيا ،في حين كان المسلمون مشغولين بالفتن التي حدثت في تلك الفترة من خلافة عبد الملك بن مروان.

وبعد أن هدأت الأمور في الشرق بعث "عبد الملك بن مروان " بـ"حسان بن النعمان"فاتحاً وقائداً لشمال إفريقيا ،فتوجه إليها سنة 74هـ ،في قوة كبيرة بلغت قرابة أربعين ألف مقاتل،وقد

ركز حسان جهوده الأولى لفتح (قرطا جنة) أكبر مدن الروم في شمال إفريقيا ،وبعد معارك طويلة تمكن من فتحها سنة 74هـ،وحاول أهلها الثورة بعد أشهر إلا أن حساناً تمكن من القضاء على ثورتهم وتأديبهم، وفي خلال هذه الفترة وقعت معركة كبرى بين حسان بن النعمان وجموع من البربر بقيادة "الكاهنة " بالقرب من جبال (أوراس) فانهزم المسلمون في المعركة ،ووقع بعضهم أسرى في يد البربر ،وتتراجع بقية المسلمين إلى الشرق ،واستطاعت الكاهنة الاستيلاء على البلاد مرة أخرى.

وقد حكمت الكاهنة شمال إفريقيا أربع سنوات ،وفي هذه الأثناء أخذ المسلمون في الشرق يعدون العدة لفتح جديد لشمال إفريقيا فوصلت الأنباء إلى الكاهنة، وكانت تتصور أن محاولات الفتح الإسلامية هي مجرد غزوات للنهب والسلب ،فأصدرت أوامرها لجنودها لتخريب البلاد تخريباً تاماً حتى لا يطمع فيها المسلمون فخربوا المدن وهدموا الحصون وقطعوا الأشجار وأتلفوا المزارع ،حتى أصبحت البلاد خرابا ،فخرج أكثر الأفارقة إلى أسبانية (الأندلس)وغيرها ،وأما من بقي منهم فكانوا يتطلعون لقدوم المسلمين لإنقاذهم من هذا الخراب والدمار



وتحرك حسان بن النعمان في غزوته الثانية سنة 80هـ فاستقبله الأفارقة في المنطقة بالفرح والسرور، وكانو يريدون تخليصهم من تسلط "الكاهنة"، واستمر حسان يزحف على البلاد حتى أدرك "الكاهنة" وجندها فوقعت بينهم معركة عظيمة عند مكان يعرف ببئر داهية (بالجزائر حالياً) انتهت بمقتل "الكاهنة" وتفرق جنودها سنة 80هـ، ،وأسلمت جموع كبيرة من البربر وكان فيهم ولدا "الكاهنة" ، وأخذوا يغزون مع المسلمين حتى وصلوا إلى نواحي (موريتانيا) – حالياً – واستمر المسلمون في تعليم البربر الإسلام وفتحو لهم المساجد، فأقبلوا لي الإسلام بصدق وحماس وبدأ حسان ينظم إفريقيا، فدون الدواوين ونظم الخراج ومهد الطريق ووزع الحاميات، وعمل على إيجاد أسطول يمنع غارات الروم البحرية، وبعد استقرار الأمور في إفريقيا عُزل حسان بن النعمان سنة89هـ وعين بدلاً عنه (موسى بن نصير) بأمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وفي أيام موسى حاولت جماعات من البربر الخروج عن الطاعة، فتمكن موسى من تأديبهم وأعاد تنظيم البلاد، وزاد دخول البربر عن ذي قبل في الإسلام فاستفاد منهم في الإدارة وعين بعضهم أمراء على قومهم، وأسكن جماعة من العرب في الغرب الأقصى، وعين مولاه(طارق بن زياد البربري) صاحب الفتوح العظيمة في الأندلس على (طنجة) وأوكل إليه إدارة ما جاورها من الغرب، وأصبحت الأوضاع في أيام موسى مستقرة، وأصبح المسلمون في المنطقة من العرب أو البربر يتطلعون إلى فتوح جديدة.

(هـ) فتح الأندلس :سنة91هـ/709م":

يعتبر فتح الأندلس امتداداً لحركة الفتوح العامة التي كان باعثها الأول نشر الإسلام وتبليغه للناس ، وقد كانت الظروف في عهد الوليد بن عبد الملك مواتية لنشاط الفتوح، حيث كانت الأحوال العامة للدولة الإسلامية مستقرة، كما أن الأحوال في إفريقيا كانت مستقرة ويتطلع من فيها من المسلمين إلى الجهاد، وفي الوقت نفسه كانت بلاد الأندلس تعاني انقساما وصراعاً على الملك ويعاني أهلها ظلما شديداً من حكامها والظروف مهيأة لفتحها، كما أن المسلمين كانوا

يفكرون في فتح الأندلس منذ أيام عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، حيث وصلت إليها أساطيل المسلمين في تلك الفترة، يضاف لذلك أن كثير من البربر قد دخلوا في الإسلام عن اقتناع وتولى بعض منهم مهمات إدارية وعسكرية في شمال إفريقيا فتحمسوا لنشر الإسلام ولفتح مناطق جديدة، فكانت الأندلس هي أقرب ما يمكن فتحه من البلدان بالنسبة لهم.

وقد بدأ موسى بن نصير والي إفريقيا التفكير عمليا بفتح الأندلس بعد أن فتح طنجة وحاصر سبتة التي كان يحكمها يوليان القوطي ، وقيل أنه هو من أوعز إلى موسى بن نصير عبور الأندلس حيث كان يحقد على ملكها الذي يدعى (لذريق) ، فأرسل موسى إلى قائده طارق بن زياد يأمره بإرسال حملة استطلاعية إلى سواحل الأندلس كي يتأكد مما قاله له يوليان كي لايغرر بالمسلمين في أرض مجهولة ، وفي سنة(91هـ) أرسل طارق بن زيادحملة صغيرة قوامها(500) رجل بقيادة [طريف بن مالك] عبرت إلى الأندلس ونجحت في ضرب بعض المواقع جنوبيها وتمكنت من العودة بسلام محملة بالغنائم، كان ذلك حافزاً لموسى لإعداد حملة كبرى لمباشرة الفتح.

-حملة طارق بن زياد لعبور الأندلس:

كان "طارق بن زياد" أحد قادة البربر الذين يعتمد عليهم "موسى بن نصير" في إدارة شؤون شمال إفريقيا، وكان معروفاً بالشجاعة والديانة وحسن الإسلام، فأسند إليه موسى بن نصير قيادة حملة عسكرية مكونة من اثني عشر ألف مقاتل لمباشرة الفتح في الأندلس وقد عبر طارق بمن معه من الجند إلى الأندلس بمساعدة (يوليان) حاكم (سبتة) وكان قوطياً نصرانياً يحقد على ملك أسبانيا (لذريق) فتعاون مع المسلمين للقضاء عليه ،فنزل طارق ومن معه من الجند أرض الأندلس، وغادرت السفن، فخطب طارق في جنوده حاثّاً لهم على الجهاد وابتغاء ما عند الله، ثم باشر فتح المواقع، والتقوا بجنود القوط في عدة معارك وفي هذا الوقت تحرك ملك الإسبان

"لُذريق" متجهاً إلى الجنوب على رأس جيش قوامه أربعين ألف جندي والتقى مع جيش المسلمين يقودهم "طارق بن زياد".

-معركة وادي لكة (28رمضان92هـ/710م):

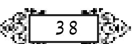
كان معظم جيش طارق بن زياد من البربر البواسل ومعه ثلاثمائة فقط من العرب، وقد بعث"لذريق" ملك الإسبان أحد جواسيسه ليتوغل في صفوف المسلمين ويأتيه بالأخبار، وبعد فترة عاد إليه وقدم تقريرا قال فيه: " لقد جاءك من لا يريد إلا الموت أو إصابة ما تحت قدميك حطوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات ليس لهم في أرضنا مهرب ولا سفن يتعلقون بها".

وقد انزعج "لذريق" من التقرير وعبأ قواته لمقاومة المسلمين وكان قوام جيشه أربعين ألف مقاتل، مما اضطر طارق بن زياد لطلب النجدة من موسى بن نصير والي إفريقيا فأمده بخمسة آلاف مقاتل ، فأصبح جيش المسلمين اثني عشر ألفامقابل أربعين ألفا من الأسبان الذين غرتهم أنفسهم واستعدادهم، وكانوا متاكدين من تغلبهم لدرجة أنهم قد أعدوا ما يحملون عليه أسرى المسلمين حيث كان مع (لذريق) عربات تحمل الأموال وهو على سرير تحمله ثلاث بغلات مقرونات وعليه قبة مكللة بالدر والياقوت، وعلى جسمه حلة لؤلؤ،ومعهم عدد من الدواب لا تحمل غير الحبال لكتاف الأسرى المسلمين، إذ لم يشكوا في انتصارهم على المسلمين وأسرهم أو قتلهم، حيث كان جيش الإسبان أقوى تنظيماً وأكثر عدة واستعدادا، وأعلم منهم بالأرض ومسلكها، وأقرب إلى مصادر التموين وكانت كل العوامل المادية في صالحهم.

وقد اجتمع الجيشان عند مكان يعرف بوادِ لكة قرب مدينة شذونة جنوب غرب الأندلس وبدأت المعركة في يوم الأحد 28 رمضان سنة 95هـ واستمرت ثمانية أيام وأبلى المسلمون فيها بلاء حسنا، ولله در القائد البربري طارق بن زياد وهو يمثل تلك الجموع من المجاهدين قائلا:

ولــــسنا نُبـــالي كيـــف ســـالت نُفُوسُــــنا

إذا نحــــنُ أدركنـــا الــــذي كـــانَ أجَــــدَرا



كان الجيش الإسلامي في هذه المعركة يتفوق بقوة العقيدة والثبات عليها، وحب الموت وكراهية الدنيا وطلب الشهادة، وإعداد ما استطاعوا من قوة مادية، وهذه الصفات تغلب على كل القوى المادية التي كانت في ظاهرها في صالح الأسبان، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين ومقتل "لُذرِيق" ملك الأسبان، وأسر الألوف منهم في الحبال التي أعدوها للمسلمين.

وكان من نتيجة المعركة أن أصبح الطريق سالكا للمسلمين لفتح بقية الأندلس ونشر الإسلام فيه، والملاحظ أن المسلمين كانوا يجدون التعاون والتشجيع من أهل البلاد الأصليين من الأسبان ضد حكامهم الأصليين، لما يعلمونه من عدل الإسلام وسماحة المسلمين.

ولم يكتفِ طارق بهذا النصر، بل سارع لفتح المدن الإسبانية رغم مقاومتها الشديدة للمسلمين، فتمكن من فتح(إشبيلية) و (قرطبة) ، وانقسم جيش طارق إلى فريقين اتجه كل واحد منهما لفتح بعض المناطق والتقى الفريقان عند (طليطلة) حيث تمكن المسلمون من فتحها.

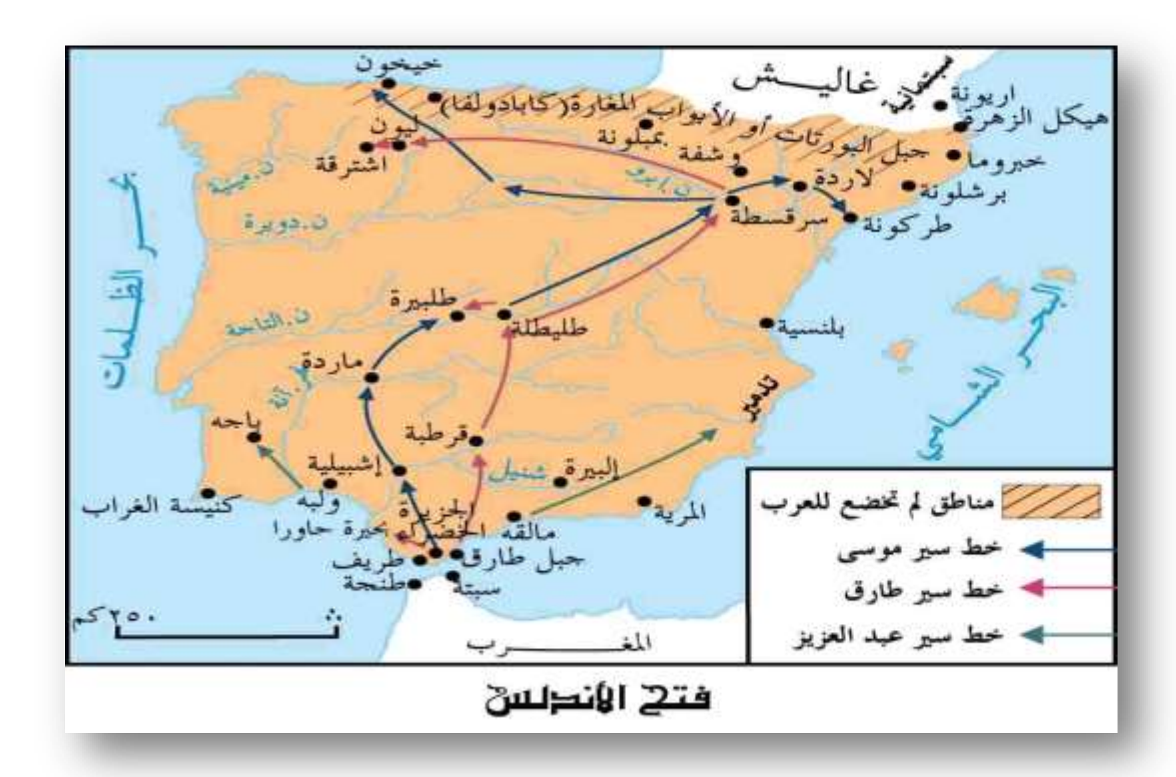
وفي هذه الأثناء كان طارق يكتب إلى موسى بن نصير بأخبار الفتح، فرأى موسى أن يشارك في ذلك الفتح بنفسه لينال الأجر والثواب ويساعد طارق في مهمته، وخصوصاً أن بلاد الأندلس كانت واسعة وتحتاج إلى قوات أكبر لفتح المواقع المتعددة والمنتشرة في أنحائها ولتثبيت فتوح طارق في المواقع التي حاول أهلها الانتفاض.



-عبور جيش موسى بن نصير إلى الأندلس:

استخلف موسى أحد الأمراء على إفريقيا، وعبر إلى بلاد الأندلس ومعه عشرة آلاف مقاتل، وكان ذلك في رجب سنة (93هـ)، وبعث الرسل يطلب من طارق التريث في الفتح وعدم العجلة فيه نظرا لانتفاض بعض البلاد المفتوحة، وعمد موسى إلى سلوك طرق أخرى لم يسلكها طارق، حتى يتشرف بفتح مواقع جديدة، وقد عمل موسى على إعادة فتح (إشبيلية) بعد أن انتفضت ثم سار إلى (ماردة) حيث تمكن من فتحها بعد حصار دام عدة أشهر، ذهب فيه كثير من شهداء المسلمين، ثم نكث أهل (إشبيلية) العهد، فاضطر موسى إلى فتحها للمرة الثالثة، ثم اتجه إلى (طليطلة) حيث التقى مع (طارق بن زياد) بالقرب منها ودار نقاش بين القائدين حول تفاصيل الفتوح القادمة، واتفقا على مواصلة الفتح شمالاً، ثم تابع القائدان فتوجهما في شمال إسبانيا، وأخذت المدن تتساقط تباعا ومنها سرقسطة ،ووشقة ،ولاردة، في الشمال حتى وصل المسلمون (جبال البرانس) في شمال الأندلس عند الطرف الجنوبي لفرنسا، وهكذا تمكن المسلمون من فتح معظم إسبانيا، وقد اضطر طارق بن زياد ، وموسى بن نصير سنة (95هـ) لمغادرة الأندلس إلى بلاد الشام بناء على طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد خلف موسى بن نصير ابنه "عبد العزيز" على ولاية الأندلس،فقام باستكمال الفتح في بعض المواقع شرق (الأندلس)، وقد بقيت بعض المواقع الجبلية في الركن الشمالي الغربي لبلاد الأندلس لم يفتحها المسلمون، مما جعل النصارى الأسبان يتجمعون فيها، ويكونون مع مرور الزمن قوة نصرانية أخذت تحارب المسلمين، وتعمل على طردهم من الأندلس.

وقد حاول المسلمون بعد فتح إسبانيا عدة مرات التقدم في فرنسا وغرب أوروبا من بلاد الأندلس.



فتح الأندلس

معركة بلاط الشهداء سنة 114هـ/732م (قرب مدينة بواتييه الفرنسية):

استمر المسلمون في تنظيم شؤون الأندلس المختلفة، وتعاقب عليها ولاة مختلفون كان هم معظمهم مواصلة الجهاد والفتح في مناطق جديدة وكان من أشهر هؤلاء الولاة "السمح بن مالك الخولاني" الذي أعد سنة (102هـ) جموعا كبيرة من المجاهدين وعبر بهم جبال البرتات (البرانس) فاتحا في جنوب غرب فرنسا أو ما عرف ببلاد (الفرنج) أو (الغال)،وقد تمكن من فتح العديد من المدن والمدن والمواقع في تلك المنطقة ووصل إلى مدينة (تور ـ بواتييه)الفرنسية ، وكان يرافقه في تلك الغزوة "عبد الرحمن الغافقي"، وقد دارت بين جيوش المسلمين وبين أمير اكتانيا "الدوق ديو" معركة شرسة استشهد فيها جموع كبيرة من المسلمين على رأسهم قائدهم

"السمح بن مالك الخولاني" فقام "عبد الرحمن الغافقي" بتنظيم من تبقى من الجيش المسلم والانسحاب بهم جنوب جبال البرانس بعد أن أصيب عدد كبير منهم.



وأصبح الوالي لبلاد الأندلس من بعده "عنبسة بن سحيم الكلبي" الذي واصل طريقة سلفه في الجهاد في تلك النواحي حتى استشهد وهو غاز فيها سنة 107هـ

وبقيت الأندلس دون ولاة محددين حتى سنة 112هـ، حيث أصبح "عبد الرحمن الغافقي" والياً على الأندلس وكان يتطلّع لإعادة الفتح في بلاد الفرنجة جنوب فرنسا، خصوصا أنه كما ذكرنا سبق أن جاهد فيها زمن "السمح بن مالك الخولاني" فكسب خبرة ودراية في مجاهدة أهلها.

واشتهر عن الغافقي ورعه وتقواه وصلاحه وإيمانه القوي وكان يقول: لو كانت السماوات والأرض رتقا لجعل الله للمتقين منها مخرجا.

وأعد الغافقي جيشا كثيفا للجهاد وراء جبال البرانس في جنوب فرنسا وجهزه بما يحتاجه من سلاح وعتاد وتحرك به سنة112هـ، وبدأ يخوض العديد من المعارك في المنطقة مدة زادت عن العام انتصر في العديد منها.

كان الفرنجة خلال هذه الفترة بقيادة"شارل مارتل" يعدون جيشاً قوياً لمواجهة المسلمين، حتى إذا أقبل الشتاء تصدوا للمسلمين في موقعة اشتهرت عند المسلمين باسم بلاط الشهداء وعن الفرنسيين باسم (بواتييه) نسبة إلى مدينة فرنسية تسمى (بواتييه) حيث وقعت المعركة بالقرب منها.

وكان جيش الفرنجة أقوى وأكثر عدداً وعدةً من المسلمين وأعرف بطبيعة الأرض وأكثر استعدادا لتحمل الجو البارد، ومع هذا فقد قاتل المسلمون ببسالة نادرة لعدة أيام وقد ظهرت بوادر انتصار للفرجة على المسلمين فحاولوا الالتفاف على الأعداء واستشهد "عبد الرحمن الغافقي" قائد المسلمين ولما يكمل المسلمون استعدادهم في الالتفاف، مما هز جيش المسلمين ومع ذلك فقد حاولو إعادة الكرة على الفرنجة ولكن الهزيمة حلت بهم فاستشهد جماعة كبيرة منهم.

وقد عولت المصادر الفرنسية كثيراً على هذه المعركة واعتبرت أن الانتصار فيها على المسلمين قد أوقف تقدمهم في أوروبا الغربية .

ومن الجدير بالملاحظة أن الفتوحات في العصر الأموي كانت تنشط عندما تقل المشاكل داخل الدولة الإسلامية، والعكس صحيح، فحينما ينشغل المسلمون بالجهاد والفتوح تقل المشاكل الداخلية وحينما يتوقفون عن الجهاد تظهر الفتن والقلاقل، ويعد عصر معاوية - -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عصرا زاهرا بالفتوح، كما يعد عصر الوليد بن عبد الملك العصر الذهبي للفتوح أيام الأمويين حيث فتحت مناطق جديدة في السند والأندلس وما وراء النهر، ومن خلال مقارنة

العصر الأموي بما سبقه أو لحقه من العصور نجد أنه لا مثيل له في سعة الفتوح سوى ما حدث في عصر الخلفاء الراشدين قبله.

الفتح العربي الإسلامي

خلاصة القول لقد امتدت الفتوحات الإسلامية على يد الأمويين إلى آفاق بعيدة، حيث شملت دولة الإسلام ما بين الصين شرقًا وبلاد الأندلس وجنوبي فرنسا غربًا، وطرقت أبواب القسطنطينية، وضيَّقت عليها الخناق، وحاصرتها ثلاث مرات، وتحول بحر الروم إلى بحيرة إسلامية، ونشرت الإسلام في القارات الثلاث آنذاك آسيا وإفريقيا وأوروبا، ودخلت أعداد غفيرة من الناس في دين الله، وأصبحت لغة العرب في أوج قوتها وثرائها، وأضحت لسانًا لكثير من سكان هذه البلاد ، ولا تزال مسامع الدنيا تعي أسماء مثل يزيد بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، والمهلب بن أبي صفرة، وقتيبة بن مسلم، ومحمد بن القاسم الثقفي، وعقبة بن نافع، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

وقد تحول كثير من هذه المدن العسكرية إلى مراكز مدنية حافلة بالبناء وأماكن العبادة ومراكزلطلب العلم وأسواق للتجارة، وأخذت تشهد نهضة طيبة في الوجوه المختلفة من النشاط البشري.

كما عززت الدولة القوة العسكرية البحرية، وأقامت دور صناعة السفن في عكا، ثم من بعدها في صُور من بلاد الشام، وفي جزيرة الروضة والفسطاط من بلاد مصر، وفي تونس، وزُوِّدَتْ هذه المصانع بما يلزم من المواد والعمال.



أسئلة

س1/ تحدث بإيجاز عن فتوح بني أمية في بلاد الروم.

س2/ تكلم عن فتوح بني أمية في بلاد السند .

س3/ اكتب نبذة مختصرة عن :

أ-معركة وادي لكة.

ب-معركة بلاط الشهداء.

س4/ تحدث عن ولاية عقبة بن نافع الفهري على شمال إفريقية ومافيها من أحداث تاريخية مهمة.

س5/ تتبع مع زملائك أشهر قادة الفتوحات في دولة بني أمية من قيامها إلى نهايتها وأبرز المعارك التي خاضها أولئك القادة .



(الحركة العلمية في عصر دولة بني أمية)

أولى بني أمية العلم وأهله إهتماماً خاصاً ووقروا العلماء وقربوهم ،كما اهتموا بتدوين العلوم وفي طليعتها علوم السنة ، وقد زخر العصر الأموي بكثير من العلماء ، يأتي في طليعتهم جيل الصحابة الذين عاصروا هذه الدولة، وتركوا آثارًا واضحة على الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية فيها، وجيل التابعين الذين أخذوا عنهم، وورثوا منهم، ونشروا علومهم وتراثهم.

ونلاحظ أن أبرز الخلفاء الأمويين كانوا من العلماء، بل من كبارهم وسادتهم مثل: معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل كاتب الوحي، ومن لا يُنكَر علمه وحِلمُه، ومروان بن الحكم -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وعمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وغيرهم.

وكان كثير ممن يحوط هؤلاء الخلفاء من العلماء والفقهاء الذين لم يقتصر دورهم على تعليم العلم وتدريسه، بل مارسوا السياسة، وعرفوا طرقها إضافة إلى شهرتهم في مجال الحديث والفقه ، ومن هؤلاء العلماء بعض الصحابة الذين كانوا قريبين من معاوية خلال فترة حكمه، مثل: حبيب بن مسلمة الفهري، والنعمان بن بشير الأنصاري، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وغيرهم رضوان الله عليهم، كما كان من القريبين من معاوية بعض أبناء الصحابة الأعلام مثل: الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - جميعًا.

-جهود التابعين في تدوين السنة المشرفة في عهد بني أمية:

تلقى التابعون-رحمهم الله-السنة،بل الدين كله عن الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم-فقاموا بمهمة تبليغ الرسالة من بعد شيوخهم إلى الناس كافة، فكانوا خير جيل بعد

ذلك الجيل، وقد بذل جيل التابعين في خدمة السنة وتدوينها وحفظها جهوداً كبيرة، وفيما يلي بعض النقول من تلك الجهود:

أ_ روى الخطيب بسنده من عدة طرق عن الإمام عامر الشعبي أنه كان يقول: (إذا سمعت شيئاً، فاكتبه ولو في الحائط، فهو خيرٌ لك من موضعه من الصحيفة؛ فإنك تحتاج إليه يوما ما)

ب_ عن الحسن البصري، قال: (ما قُيِّد العلم بمثل الكتاب، إنما نكتبه لنتعاهده).

ج- وعن سعيد بن الجبير قال: (كنت أكتب عند ابن العباس في صحيفتي حتى أملأها، ثم أكتب في ظهر نعلي، ثم أكتب في كَفِّي).

د- وعن صالح بن كيسان، قال: (اجتمعت أنا والزهري- ونحن نطلب العلم-فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، فقلت أنا: ليس بسنة فلا تكتبه، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت).

هـ- وعن ابن شهاب الزهري، قال: (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق نُنْكِرها ولا نعرفها، ما كتبت حديثا ولا أَذِنْتُ في كتابه).

و- روى الخطيب من عدة طرق عن معاوية بن قرة، قال: (كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً).

- تدوينهم للسُّنَّة في الصحف:

انتشرت كتابة الحديث في عهد بني أمية من جيل التابعين على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة، إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك.

ولعل من أسباب ذلك التدوين ما يلي:

أ- انتشار الروايات، وطول الأسانيد، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم.

ب- موت كثير من حفَّاظ السُّنَّة من الصحابة وكبار التابعين، فخِيف بذهابهم أن يذهب كثير من السُّنَّة.

ج- ضعف مَلَكَةِ الحفظ مع انتشار الكتابة بين الناس، وكثرة العلوم المختلفة.

د- ظهور البدع والأهواء وفُشُوُّ الكذب، فحفاظاً على السُّنَّة وحماية لها من أن يدخل فيها ما ليس منها شُرِع في تدوينها.

وهذه نماذج من تلك الصحف التي كتبت في هذا العصر على سبيل المثال لا الحصر:

1- صحيفة أو صحف سعيد بن جبير تلميذ ابن العباس.

2- صحيفة بشير بن نهيك كتبها عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وغيره.

3- صحيفة مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، قال أبو يحيى الكناسي: (كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته، فيخرج إلي كتبه، فأنسخ منها).

4- صحيفة هشام بن عروة بن الزبير.

5-صحيفة همام بن منبه كتبها عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

وغير ذلك من الصحف الكثيرة التي رويت عن التابعين، والتي كانت هي الأساس الثاني بعد صحائف الصحابة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أجمعين-لما ألف وصنف في القرنين الثاني والثالث خلال العهد العباسي .

- جهود الخليفة عمر بن عبد العزيز وابن شهاب الزهري رحمهما الله في تدوين السُّنة:

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن دينار، قال: "كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا".

وعن ابن شهاب الزهري، قال: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا" ،كما روى الدارمي بسنده أن عمر بن عبد العزيز

كتب إلى أهل المدينة: "انظروا حديث رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فاكتبوه، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله" ، وأيضاً أخرج الحافظ ابن عبد البر بسنده إلى الإمام مالك قال: "أول من دون العلم: ابن شهاب الزهري".

ولعل المراد بما سبق التدوين الشامل الذي بدأه فعلاً الزهري بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد ذُكر أن الحافظ الخطيب البغدادي قد حرر هذا الموضوع في كتابه(تقييد العلم)، وأثبت بالأدلة أن التدوين قد بدأ من عصر الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعصر الصحابة والتابعين أيضاً.



أسئلة

س1/ ساهم خلفاء بني أمية في الحث على حفظ السنة والتثبت من روايتها وسماعها ،ناقش ذلك

س2/ اذكر أهم أسباب تدوين السنة في الصحف.

س3/ تكلم عن جهود الخليفة عمر بن عبدالعزيز والإمام ابن شهاب الزهري في تدوين السنة



(نهاية حكم بني أمية 132هـ/749م)

بدأ عهد الضعف في آخر سبع سنوات من عمر الدولة الأموية،والذي تميز بالصراع بين أمراء البيت الأموي، الأمر الذي وصل لخروج بعضهم على بعض، وتدبير المؤامرات، وقد أثمر ذلك إهمال مرافق الدولة والجيش، وبالتالي توقف حركة الجهاد، وفساد الأوضاع في أنحاء الدولة الشاسعة، والانشغال عن إجهاض تحركات العباسيين ، حتى سقطت الدولة على أيديهم بمقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين سنة 132هـ.

وخلاصة القول أن من أهم أسباب نهاية حكم بني أمية النقاط الآتية :

1-تحول الخلافة الإسلامية إلى الملك العضوض إبان حكم بني أمية.

2-تولية العهد لاثنين في وقت واحد مما سبب في تعميق هوة الخلاف والنزاع بين الأخوة على السلطة.

3- ظهور روح العصبية القبلية أواخر عهد بني أمية.

4-تخلِّي خلفاء بني أمية عن القيادة الدينية الحازمة بعد خلافة عمر بن عبدالعزيز.

5-ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من أسباب زوال دولة بني أمية ظهور البدع قي أواخر عهد دولة الأمويين ،فقد كان مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (الجعد بن درهم) رأس الجهمية وزعيمهم، وهذا سبب معتبر في حصول النزاع والخلاف وكثرة الفتن ..وهذا أمر مشاهد على مر التاريخ وعصور الدويلات الإسلامية وهو أن أهل البدع أين ما حلوا كانوا سبب الفتن والبلايا خاصة إذا تمكنوا من ولاة الأمور وتغلغلوا في مفاصل الدولة الإسلامية.

6- الخلافات والنزاعات بين أنصار بني أمية وأغلبيتهم من السنة، وأنصار العلويين من الشيعة، وظهور فرقة الخوارج المارقة ضد بني أمية ، وقد قاتلهم خلفاء بني أمية وفرقوا جموعهم

لخطرهم على الدين والدولة والرعية ،كذلك ظهور العباسيين وصراعهم مع بني أمية على الملك، والذي انتهى بغلبة العباسيين وانتهاء ملك بتي أمية،كل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت بزوال حكم بني أمية لينتقل الحكم إلى أسرة قرشية سنية أخرى وهم بنو العباس .

أسئلة

س1 تحدث عن أسباب ضعف دولة بني أمية ونهاية حكمهم.

س2 ارسم جدولا تحدد فيه خلفاء بني أمية من معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – إلى آخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد.



جدول خلفاء بني أمية

م	الخليفة	فترة الخلافة
1	**معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية رضي الله عنه**	**من 41هـ 60 هـ**
2	**يزيد بن معاوية بن أبي سفيان**	**60 هـ 64 هـ**
3	**معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان**	**64 هـ 64 هـ**
4	**مروان الحكم بن أبي العاص بن أمية**	**64 هـ 65 هـ**
5	**عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**65 هـ 86 هـ**
6	**الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**86 هـ 96 هـ**
7	**سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**96 هـ 99 هـ**
8	**عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم**	**99 هـ 101 هـ**
9	**يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (يزيد الثاني)**	**101 هـ 105 هـ**
10	**هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**105 هـ 125 هـ**
11	**الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**125 هـ 126 هـ**
12	**يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**126هـ 126 هـ**
13	**إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم**	**126هـ 126 هـ**
14	**مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية**	**127 هـ 127 هـ**

الوحدة الثانية

الدولة العباسية

الوحدة الثانية

الدولة العباسية

(132هـ /656هـ/749-1258م)

أولاً :قيام دولة الخلافة العباسية.

ثانياً :(تأسيس الدولة العباسية (132-136هـ وأشهر خلفاءها)

ثالثاً : العهـد العباسي الثانـي عصر الضعف(عهد سيطر الأتراك).

رابعاً : (تدوين علوم السنة في العصر العباسي الأول).

خامساً : الفتوحات في العصر العباسي) .

سادساً : (نهاية الدولة العباسية 656هـ/1258م) .

قيام الدولة العباسية 132هـ /749م

سميت الدولة العباسية بهذا الاسم نسبة إلى العباس عم الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فمؤسس الدولة العباسية هو أبو العباس عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسوله الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وقد اشتهر أبو العباس بأبي العباس السفاح ،لأنه قال في خطبة تنصيبه: "أهل الكوفة .. استعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المنيح" ومن معانيها في العربية المعطاء الفصيح.

-ظهور دعاة العباسيين:

اعتمدت الدولة العباسية على السرية التامة في بدايتها وذلك كي تنجح دولتهم الوليده خوفاً عليها من حكومة بني أمية ،وعندما ضعفت الدولة الأموية، تطلع الناس إلى رجل يعود بالأمة إلى الجادة والطريق الصحيح، ويرهب بهم الأعداء، فحسبوا أن أصلح الناس لهذا الأمر، رجل من بني هاشم، فكتبوا في هذا الشأن إلى " أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن عليّ بن أبي طالب" أحد العلماء الثقات، وكان مقيما بالشام قريبا من مركز الخلافة الأموية.. وما لبث أمر تلك المكاتبة إلى أن وصل الخليفة "سليمان بن عبد الملك"، فخشي أبو هاشم على نفسه – وكانت قد تقدمت به السّنُّ – بطش الخليفة، فانتقل إلى أرض "الحميمة" من أرض الشام، حيث يقيم عمه "عليّ بن السَّجاد بن عبدالله بن عباس"بما كان من أمر الناس معه،ودفع إليه الكتب التي كتبوها، وقال له :أنت صاحب هذا الأمر،وهو في ولدك، ثم مات ، وكان ذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك 99هـ/ 218م، وهذا أول انتقال الدعوة من العلويين إلى العباسيين،

وأخذ محمد العباسي في تنفيذ ما أوصاه به أبو هاشم، فاتصل بالناس، واختار من بينهم دعاة يخرجون وينتشرون في ربوع الدولة الأموية، يشّهرون بها وينتقدون عيوبها، ويدعون إلى ضرورة أن يتولى الخلافة رجل من آل البيت قادراً على أن يملأ الأرض عدلاً، ووجدت تلك الدعوة صدى عند الناس ورواجاً.

مات محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس سنة 124هـ/ 742مـ، بعد ما أوصى ابنه إبراهيم الملقب بالامام بمواصلة المسيرة.

-إبراهيم الإمام:

أخذت الدولة العباسية عند إبراهيم الإمام صور أخرى غير التي كانت عليها قبل ذلك، فهي لم تكن منظمة، أما الآن فقد صار لها نظام، وقادة معلومون، من أمثال أبي سلمة الخلال على الكوفة، وأبي مسلم الخراساني على خراسان ،كما اتخذت الحميمة مركزاً لها.

وما تكاد سنة 129هـ / 746مـ تقبل حتى يصدر أمر الإمام العباسي"إبراهيم بن محمد" أن يكون أبو مسلم الخراساني[1] رئيسا للدعاة جميعاً في خراسان وما حولها وهو خراساني الأصل بعد أن اعتذر غيره، وكلفه أن يجهر بالدعوة العباسية علناً، وأن يعمل على جعل خراسان قاعدة للانطلاق بقواته ضد البيت الأموي.

-انتقال الخلافة إلى العباسيين:

صدر الأمر إلى أبي مسلم بالجهر بالدعوة للعباسيين في عهد أخر خلفاء بني أمية " مروان بن محمد"، ولم يلبث أبو مسلم أن دخل "مرو" عاصمة خراسان، وكاد أن يستولي عليها إلا أنه

---

[1]. أبومسلم الخرساني: اسمه عبد الرحمن بن مسلم، ويقال : عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية، كان من أكبر الملوك في الإسلام. كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب من رجل يذهب على حمار بإكافٍ من الشاف حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة، ويُقيم دولة أخرى، كان قصيراً، أسمر جميلاً، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسية، حلوَ المنطق، وكان راوية للشعر، عارفاً بالأمور، لم يُر ضاحكاً، ولا مازحاً إلا في وقته وكان لا يكاد يُقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة، فلا يرى مكتئباً، وكان إذا غضب لم يستفزه . قال عنه الذهبي : كان أبو مسلم سفاكاً للدماء، يزيد على الحجاج في ذلك، وهو أوَّل من سن للدولة لبس السواد

لم يتمكن من ذلك هذه المرة، وهنا أسرع الوالي على خراسان من قبل بني أمية، وهو "نصر بن سيّار" يستغيث بمروان بن محمد ويطلب منه مدداً، وينبه رجال الدولة إلى الخطر المحدق فيقول:

أَرى خلَلَ الرّمادِ وميضَ نارٍ ... ويوشك أن يكون له ضرامُ

فإنّ النار بالعودين تُذكى ... وإن الحربَ مبدؤها كلامُ

فقلت من التعجب ليت شعري ... أَأيقاظٌ أميةَ أم نيامُ ؟

ولم يهتم بنو أمية بهذا الأمر بسبب انشغالهم بصراعات أنصارهم القدامى بالشام، وانشقاق زعماء الأمويين على أنفسهم، ولم يمد واليهم على خراسان بشيء، فأدرك أبو مسلم الخراسان أن الوالي الأموي لن يصبر طويلاً، وأن "مرو" ستفتح يوماً ما قريباً، فأخذ يجمع العرب من حوله، ثم انقض بهم على "مرو" ففتحت له، وهرب واليها " نصر بن سيّار" وكان ذلك سنة 130هـ/ 747م.

وواصل أبو مسلم فتوحاته فدانت له "بلخ" و " سمرقند" و " طخارستان" وغيرها، وتمكن من بسط سيطرته ونفوذه على خراسان جميعا، وراح يتطلع إلى غيرها، وكان كلما فتح مكانا أخذ البيعة من أهله على كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- وسنة نبيه " وللرضا من آل محمد"، أي يبايعون إماماً مرضياً عنه من آل البيت من غير أن يُعيّنَه لهم، وسمى نفسه "أمير آل محمد" وكان نفوذه لا يبارى في المشرق وكان مثالا لمن جاء بعده من الدول التي اعتمدت على الموروث المجوسي مثل البرامكة وآل طاهر والبويهيين. ولذلك اختار الإمام إبراهيم بن قحطبة بن شبيب ، شخصية عربية لتقود الثورة في العراق العربي، وانتصر إبراهيم بن قحطبة على نصر بن سيّار إلا أنه انهزم أمام يزيد بن هبيرة الأموي، ثم انتصر عليه أبي سلمة الخلال ودخل الكوفة.

والواقع أن بني أمية لم يجدوا الوقت للانصراف للقضاء على حركة بني العباس لانشغالهم بحربهم الداخلية ضد الخوارج والشيعة، لا يعلمون من أمر القيادة الرئيسية لهذه الدعوة العباسية شيئاً، ولما وقع في يد الخليفة (مروان بن محمد) كتاباً من "الإمام إبراهيم

العباسي" يحمل تعليماته إلى الدعاة، ويكشف عن خطتهم وتنظيمهم، كان منشغلاً بتوطيد سلطانه المتزعزع وقمع الثائرين ضده، واكتفى الخليفة "مروان بن محمد" بأن أرسل إلى القائم بالأمر في دمشق للقبض على الإمام " إبراهيم بن محمد" "بالحميمة" وإيداعه في السجن، وتم القبض عليه وأودع السجن، فظل به حبيساً إلى أن مات (ويقال أنه قتل) في خلافة مروان ابن محمد سنة 132هـ/ 749مـ. ولم علم "إبراهيم" بالمصير الذي ينتظره، وعلم أن أنصاره ومؤيديه قد واصلوا انتصاراتهم، وأن الكوفة قد دانت لهم وصارت في قبضتهم أوصى لأخيه "أبي العباس" بالإمامة طالباً منه أن يرحل إلى الكوفة ومعه أهل بيته ، لينزل على داعي العباسيين بها وهو " أبو سلمة الخلال "[1] فهناك يكون في مأمن من رقابة الأمويين وسلطانهم.

-انتقال مركز الدعوة العباسية إلى العراق:

حارب أبو مسلم الخراساني نصر بن سيّار وطرده من خراسان واستطاع قحطبة بن شبيب أن يسيطر للعباسيين على العراق بعد أن هزم قوات نصر المتراجعة ولم تفلح الإمدادات التي أرسلها مروان لابن سيار ، وحدث أن وافته المنية عام 131هـ/ 748م فمات نصر بن سيّار محصوراً في جو الهزيمة، وسار إلى الكوفة أبو العباس.

-المبايعة لأبي العباس عبد اللّه بن محمد بن عليّ بن عبداللّه بن العباس (132هـ/749م):

وهنالك في الكوفة_ بعد قليل من وصول آل العباس إليها_ تمت مبايعه أبي العباس خليفةً للمسلمين، وتوجه "أبو العباس" إلى مسجد الكوفة عقب مبايعته بالخلافة في الثاني عشر من

1- أبو سلمة الكوفي المعروف بالخلال حفص بن سليمان، أول من لقب بالوزارة في الإسلام، مولى السبيع «من همدان» وفي رواية أخرى مولى لبني الحارث بن كعب، نشأ في الكوفة ، واتجرّ بالخل ولهذا لقبّ بالخلال، وبهذه الصفة عرف وربما جاءه هذا اللقب من سكناه بدرب الخلالين بالكوفة، وكان صيرفياً كما ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي، وقد جعله عمله في التجارة ذا يسر ومال، وبوّأه مكانة اجتماعية مرموقة، بدليل إنه اختير ليكون أحد الدعاة السريين للدعوة العباسية، ولم يكن داعية عادياً، فقد استخلفه «بكير بن ماهان» داعي دعاة الكوفة ليحّل محله، وكتب بذلك إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فوافق وولاّه أمر الدعوة بعد وفاة بكير بن ماهان. .

ربيع الأول سنة 132هـ/ 749مـ، وألقى على الملأ خطبة كانت بمثابة الإعلان الرسمي على قيام الدولة العباسية، ومما جاء في تلك الخطبة:

(الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وكرّمه وشرّفه وعظّمه، واختاره لنا.....إلى أن قال: وإني لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث ما جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلى بالله، فاستعدوا أيها الناس، فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح ــــ يقصد بالسفاح أنه كريم جواد ــــ).

ومن هذه المقولة التصقت به صفة السفاح ، فقيل أبو العباس السفاح، مع أنه ما قصد ذلك المعنى الذي شاع على الألسنة كما قيل.

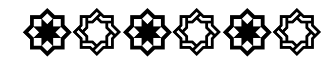
-اللقاء بين مروان بن محمد وجيش أبي العباس السفاح العباسي:

وكان اللقاء الحاسم بين الأمويين والعباسيين على أحد فروع دجلة بالقرب من الموصل وهو " نهر الزّاب الأعلى"فجيش العباسيين يقوده عم الخليفة وهو " عبد الله بن علي"، بينما يقود جيش الأمويين الخليفة نفسه "مروان بن الحكم".

كان ذلك يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة 132هـ/ 749مـ ، ولم يجد "مروان" أمام جحافل العباسيين إلا أن يفر إلى "دمشق" مهزوما أمام مطاردة "عبد الله بن عليّ".

لقد راح يطارده، فاستولى على "دمشق"، واستولى على مدن الشام واحدة بعد الأخرى، وكان استسلام دمشق العاصمة معناهُ سقوطُ دولة بني أمية، وانتهاءُ عهدها كعاصمة الدولة الإسلامية، لكن مروان قد فر إلى مصر وتوجه إلى صعيدها، وقرب الفيوم، عند قرية "أبو البصير" وشى به غلامه وألقى القبض عليه، وقتل بعدما ظل هارباً ثمانية أشهر، يفر من مكان إلى مكان ، وبمقتله أقبل عهد جديد ألا وهو العهد العباسي.

بدأت الدولة الجديدة سنة 132هـ/ 749مـ، وقد بلغ عدد خلفائها نحو سبعة وثلاثين خليفة، تعاقبوا على التوالي حكم هذه الدولة التي طال عمرها وامتدت حتى سنة 656هـ/ 1258مـ ، حيث سقطت على يد التتار، بعد أن عاشت خمسة قرون وربع قرن؛ اختلفت فيها العصور قوة وضعفا!.



أسئلة الفصل الأول

س1 / تحدثْ بإيجاز عن مراحل قيام الدولة العباسية.

س2 / تحدثْ بإيجاز عن :

أ- شخصية أبي مسلم الخرساني.

ب- أبوسلمة الخلال .

س3 / ناقش مع زملائك أهم الشخصيات البارزة إبان مرحلة قيام الدولة العباسية.



(تأسيس الدولة العباسية (132-136هـ/749-753م وأشهر خلفاءها)

-العصر العباسي الأول-

-عبد اللّه أبو العباس السفاح بن محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس:

بايع الناس لأبي العباس عام 132هـ، وكان بذلك أول الخلفاء العباسيين. وكان كريماً معطاءً حافظاً لكلمته وقوراً ،وبدء عهده بالقضاء على البقية الباقية من مقاومة الأمويين، فعين عمه سليمان على البصرة، وعمه اسماعيل على الأهواز، وعمه داوود على الكوفة، وعمه عبد الله على جيشٍ يقاتل مروان الثاني، وأخيه أبو جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة ،ولم يتمكن أبو جعفر من هزيمة يزيد بن هبيرة ،فأعطاه الأمان، ثم لما وصل الأمان إلى العباس نصحه أبو مسلم أن يقتله فقتله .

وفي عهده قُتل أبو سلمة الخلال الذي أراد أن يحول الخلافة إلى آل علي بن أبي طالب، بأن أرسل إلى أبي مسلم أن يقتله.

توفي أبو العباس السفاح بالجدري وعهد بالخلافة قبل وفاته إلى أخيه المنصور عام 136هـ.

- عبداللّه أبو جعفر المنصور بن محمد بن عليّ بن عبداللّه (136-153هـ):

ولد في الحميمة موطن أبيه محمد بن عليّ، وقد كانت أمه سلامة عربية الأصل، وقد حظي بالعلم، وكان أديباً فصيحاً عالماً، وقد عرف بالشدة والحزم وعدم التردد بالاهتمام بالرعية

والثبات عند الشدائد، وحكم فترة طويلة 26 عاما توطدت فيها دولة بني العباس فكان هو مؤسسها الحقيقي ،وقد واجه المنصور مشاكل في بداية خلافته منها:

خروج عمه عبدالله بن عليّ في أهل الشام:

كان مما أزعج عبدالله بن عليّ ميل أبي العباس والمنصور للفرس، فاستخدم الجيش العربي الذي أعده لقتال البيزنطيين لقتال ابن أخيه، وبايعه الجند على الخلافة.

فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني لقتاله فقاتله في نصيبين وهزمه ففر إلى أخيه سليمان بن عليّ بالبصرة، ثم قبض عليه المنصور وحبسه ثم قتله عام 147هـ/ 764م

أ. أبو مسلم الخُراساني:

تعاون الفرس مع العباسيين لِمَا تعرضوا له من ظلم كما زعموا أيام الأمويين، وقد نشأت حركة قوية تسمى بالشعوبية وهي معادية للعرب ومنها الشاعر بشار بن برد.

وحين رأى الخراسانيون أن الدولة الجديدة لم تحقق ما أرادوا وأنها لا تزال تعتمد على العرب من أهل بيت الخليفة، بدأ التذمر، وقد حدثت بعض الأمور التي عكرت صفو العلاقة بين أبي جعفر وأبي مسلم منها:

1. إمارة الحج عام 136هـ والتي ولّاها أبو العباس لأبي جعفر بدلاً من أبي مسلم.
2. قلل من هيبة المنصور وصار يقوي من مركزه أمام الناس.
3. لم يعطه البيعة مباشرة بعد وفاة السفاح.

وكانت من التهم الموجهة إليه:

1. أنه ادعى النسب العباسي فزعم أنه ابن سليط بن عبدالله بن عباس.
2. قتلهُ سليمان بن كثير نقيب النقباء وغيره من زعماء القبائل.
3. قراره بمخالفة الخليفة والسير إلى خراسان بدلا من مصر والشام.

وللأسباب السالفة الذكر قرر أبو جعفر المنصور أن يتخلص منه، فأراد أن يفصله عن جنده ومركز سلطته فولّاه مصر والشام ولكن أبا مسلم لم ينخدع بذلك، ورفضه، ثم دعاه المنصور لزيارته في المدائن ولكن أبا مسلم فَطَنَ للوقيعة، ورفض الذهاب، إلا أن المنصور أرسل إليه يهدده ويوعِدهُ واستطاع رسول المنصور أن يقنع أبا مسلم بالذهاب إلى ملاقاة الخليفة. ولما دخل عليه جرت بينهما محاورة سياسية كانت أقرب إلى المحاكمة منها إلى المحاورة ثم خرج عليه الجند وقتلوه عام 137هـ/ 754م

ظهرت عدة حركات مجوسية قلباً وقالباً تدعو إلى الانتفاض على العباسيين بل على المسلمين عامة مثل حركة سنباذ الذي أراد ان يهدم الكعبة، ولكن المنصور قضى عليها بعد شهرين فقط من الحركة عام 137هـ/ 754م، ثم تبعتها حركات أخرى مثل الراوندية، ولكن المنصور قضى عليهم جميعاً.

-الأوضاع الخارجية للمغرب في ظل خلافة أبي جعفر المنصور:

أ-أوضاع المغرب الإسلامي الأوسط:

ضعفت قبضة العباسيين في المغرب العربي نتيجة بُعد مركز الخلافة عنه مما أدى إلى خروج دولتين للخوارج، وهما الحركة الرستمية الخارجية التي أُنشأت دولة في مدينة تاهرت (160هـ/ 294هـ/ 776-906م) ومؤسسها عبدالرحمن بن رستم وابنه عبدالوهاب بن رستم ، وعمرت مائه وثلاثين عاماً، وأخرى هي إمارة سجلماسة الصُفّرية وهم الأغالبة(140هـ/ 296هـ/ 757هـ - 908م) والتي عمرت مائة وأربعين عاماً، وقد حاول المنصور استعادة المغرب فاستطاع أن يستعيد القيروان إلا أنه لم يتجاوز أبعد من ذلك إلى داخل المغرب.

ب-موقف المنصور من الدولة الأموية في الأندلس:

عاشت الأندلس جوا من الاضطراب في إبان الصراع العباسي الأموي متمثلاً في الصراع القيسي اليمني، وفي أثناء مطاردة العباسيين للأمويين بعد عام (132هـ / 749هـ

)استطاع أحد الأمراء الأمويين وهو عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان، والذي عرف باسم عبد الرحمن الداخل، وباسم صقر قريش ــ من الفرار من يد العباسيين إلى المغرب ملتجأ إلى أخواله هناك ومنها انتقل إلى عدوة الأندلس وعندما بدأ الدعوة لقيام دولة أموية في الأندلس اصطدم بحاكم المغرب عبد الرحمن بن حبيب وكذلك بيوسف بن عبد الرحمن الفهري، وانتصر عبدالرحن الداخل عليهما بعد أن عاونته العصبية اليمنية التي أرادت أن تنتقم لنفسها من القيسية الموالية للعباسيين واستولى على قرطبة وأعلن قيام الدولة الأموية في الأندلس سنة 138هـ / 755هـ ، التي استمر بنو أمية في حكمها قرابة ثلاثمئة عام، وقد كان المنصور يعبر عن اعجابه بالداخل بعد أن فشل في القضاء عليه، وهو الذي أسماه صقر قريش.

-**شخصية المنصور**: شخصيته لا خلاف في قوتها وأنه رجل يثبت عند الشدائد، وله ذكاء ودهاء شديد كما كان يصرف وقته في النظر لشؤون الرعية وتفقد أحوالهم والحكم بينهم، ولكن أُخذ عليه غدراتٌ ثلاث، غدرته بمسلم وغدرته بأبي هبيرة بعد أن أعطاه الأمان، وغدرته بعمه عبد الله بن عليّ، ولكنه مع ذلك كما روي عنه بأن الغدر لم يكن له طبعاً إذ أنه أعطى أروى بنت منصور الحميرية عهداً حين تزوجها أن لا يتزوج غيرها، ثم أمضى عشر سنوات بعد أن ماتت يستجلب الفقهاء ليجد مخرجاً من هذا العهد ولم يمكنه ذلك، فهذا الرجل لم يكن الغدر طبعه. وكان فصيحاً بليغاً إذا خطب.

-أعمال المنصور العمرانية:

بناء بغداد: من أهم منجزات المنصور هي بناء بغداد عاصمة الخلافة ودرتها (دار السلام) سنة 145هـ/ 762م وقد كان المنصور يحكم من عدة مدن حتى تم بناؤها عند التقاء نهر الصراة بنهر دجلة، وقد بنيت بغداد بشكل رائع يخدم الغرض الدفاعي وأحاطه بالماء من كل ناحية لجعلها كالجزيرة وقد بنى بها قصره المعروف المسمى بقصر الخلد وأجرى له قناتين،

وظلت بغداد عاصمة الدنيا وحليلتها وموطن علمائها وفنها ومعبر تجارتها لقرون عديدة، ثم بنى بعدها مدينة الرصافة القريبة منها لابنه المهدي.

توفي المنصور بعد حكم دام 26 عاما وفي عام 158هـ/ 774م أحرم للحج ولكن المرض داهمه في الطريق، فمات وأخذ كاتبه الربيع البيعة لولده المهدي ومن بعده بن عمه عيسى بن موسى الذي كان من المفروض أن يتولى الخلافة بعد السفاح، وتمت البيعة في الحجاز بعد أن تعرض عيسى بن موسى للترغيب والترهيب من قبل المنصور حتى يتولى ابنه المهدي، فتنازل عيسى لمحمد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

-خلافة محمد المهدي بن عبد الله (المنصور) بن محمد بن عليّ بن عبد الله (158-169هـ/774- 785م):

أمه أروى بن منصور الحميرية، ولد بالحميمة عام 126هـ، أخذ المنصور له البيعة عام 147هـ بعد أن هذبه وعلمه فنون الحكم والحرب، تزوج من بنت عمه ريطة بنت أبي العباس السفاح. وكان كريما ذكيا يراعي أحوال الرعية وينفي المظالم وشديدا على أهل الإلحاد، بويع له بعد وفاة والده، على يد الربيع بن يونس الحاجب.

تميز عهده بالإصلاح إذ اتخذ سياسة اللين بعد سنوات العنف التي سادت عهد من قبله، وكان اعتناؤه بالعدل غاية في الحسن إذ اتخذ بيتا له نافذة مغطاة بقضبان الحديد ليلقي الناس بمعاريض المظالم فيها فلا تضيع ولا تتأخر، وجلس بنفسه للقضاء فيها. وكان محبا للسنة وأهلها وإن كان يعيش عيشة مترفة، فقد أعاد المنابر على ما كانت عليه في عهد رسول الله – صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، كما أنه كان يعادي من يقع في الشيخين، في حضرته كذلك كان يحب الأدب والشعر، ويحب العطاء للناس، وقد كان حبس موسى بن جعفر العلوي فكان في صلاته يوما فقرأ "فهل عسيتم إن توليتم..."، فلما قضى الصلاة أمر بموسى فأحضروه، فسأله إني قد قرأت

هذه الآية فأخاف أن أكون قد قطعت رحمك فهل تعطيني ميثاقا أنك لا تخرج علي، فقال موسى نعم فأطلقه، كما وسّع في الحرم المكي والمسجد النبوي.

الحركات المعادية للعباسيين في عهد المهدي :

●**الزنادقة**: الزندقة كلمة كانت خاصة بأتباع المجوس والزرادشتية والمانوية، وقد حارب المهدي الزندقة وأفكارها المناهضة للإسلام والتي تدعو إلى الثنوية وهي(عبادة النور والظلمة) ،وقد اشتعلت هذه الدعوة في عهد العباسيين لعدة عوامل منها الحرية الفكرية التي سادت الدولة الإسلامي، وكذلك ما رآه الفرس من مخططهم للعودة للسيطرة على الدولة الإسلامية عن طريق مساندة العباسيين لم يجد نفعا، فلجؤا إلى طريق نشر الإلحاد للقضاء على الإسلام، وكان المهدي من أشد الناس عليهم حتى أنه أنشأ ديواناً خاصا بأهل الإلحاد وعيّن له مبعوثاً خاصاً سماه "صاحبَ الزندقةِ".

●**حركة المقنّع الخراساني 159-161هـ**: خرجت حركة المقنّع من "مرو" بخراسان واعتمدت على ادعاء الألوهية وعلى القول بالتناسخ والحلول، واتبعه كثير من الناس ولكن المهدي أرسل له سعيداً الخرشي فحاربه ولما علم أنه سيهزم حرق نفسه، وقيل شَرِبَ السُّم هو وكُلُّ أهلهِ.

●**العلاقة مع الأمويين في الأندلس**: شجع المهدي الحركات المناهضة لعبد الرحمن صقر قريش ومن أخطرها حركة سليمان بن يقظان الذي اتفق مع عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي المغرب وحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطة، والخطورة تكمن أن سليمان هذا أرسل يستعينُ

● "بشارلمان" للقضاء على عبد الرحمن ، ولكن عبد الرحمن صقر قريش استطاع أن يقضي على جيوش عبد الرحمن بن حبيب الفهري، ثم أعلن بعدها حسين بن يحيى الأنصاري خروجه من المؤامرة لأنه أدرك بشاعة الخيانة للمسلمين بالولاء للكفار،

وأغلق أبواب سرقسطة في وجه قوات شارلمان، ثم قامت ثورة السكسون في ألمانيا ضد شارلمان، فاضطر للعودة وفشلت الحملة ضد صقر قريشٍ.

● **العلاقة مع البيزنطيين**: تولى "ليو" الرابع العهد في نفس العام الذي تولى فيه "المهدي"، واستمرت الأمور في سلام بينهما لفترة حتى أنهما تبادلا إطلاق الأُسَارى، ولكن "ليو" بدأ الحملة مرة أخرى على أرض المسلمين عام 159هـ، فرد المهدي بحملة كبيرة بقيادة العباس بن عمه محمد، وصلت إلى أنقرة، ثم اتبعها بحملة بقيادة ثُمامة بن الوليد ردّ عليها "ليو" بحملة غزت مرعش، فأرسل المهدي جيشاً كبيراً بقيادة الحسن بن قحطبة وتغلل في أراضي البيزنطيين فأثبت وجوداً إسلامياً قوياً، ثم وجه المهدي ابنه "هارون الرشيد" قاصدا القسطنطينية، ثم مات "ليو" وتلت زوجته "إيرين" الحكم كوصية على ابنه "قسطنطين"، مما أضعف الإمبراطورية، فتصالحت مع هارون على أن تؤدي له الجزية وأن تسهل له التجارة وأن يستمر الصلح ثلاثة أعوام.

وفاة المهدي: توفي المهدي عام 169هـ بسبب حادث صيد وقيل أنه تناول السم بطريق الخطأ، وقد كان قبل موته قد خلع عيسى بن موسى! وولى ابنه الهادي ومن بعده هارون الرشيد.

-خلافة موسى الهادي بن محمد (المهدي) بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبدالله (169-170هـ/ 785-786م):

● وأمه (أم ولد) تدعى الخيزران، وكان قوي الجسم أديباً سخياً ،ولكنه نشأ مترفا ، وكانت فيه حدة وشراسة طبع، وكان شديد الغيرة على نسائه ، وكانت أمه خيزران تعودت من زمن أبيه أن يكلمها الناس في حاجاتهم وأن تقضيها لهم ، فلمّا ولي الهادي، منعها من ذلك وكلمها كلاماً شديداً أن "لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خدمي أو خاصتي لأضربنّ عنقه ولآخذنّ ماله فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟! أما لك مغزل يشغلك

أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك؟! إياكِ ثم إياكِ فتح بابك على مسلم أو ذميّ، فانصرفت ولا تعقل ما تطأ ولم تنطق عنده بعدها بحلوة أو مرّة".

وكان كأبيه شديداً على الزنادقة لا يتوانى عن قتلهم ومنهم رجل يدعى "يزدان بن باذان" وكان قد شبّه الحجاج ببقر يدوس على البيدر، فقال فيه العلاء بن الحداد الشاعر:

أيـــا أميـــنَ الله في خلـــــقه ووارثَ الكــــعبة والمنبـــــر

مـــاذا تـــرى في رجـــل كافـــر يشبـــه الكـــعبةَ بالبـــيدر

ويجعـــلُ النـــاسَ إذا مـــا ســعوا حُمُـــراً يـــدوسُ الـــبر والـــدوسر

فأمر به الهادي فقتله.

-علاقة العباسيين مع العلويين الشيعة:

انتهت الهدنة التي كانت بين العلويين والعباسيين بوفاة المهدي، فقام عليهم الهادي فقطع صلاتهم وتجسس عليهم.

وكان من أهم الأحداث في عهده خروج الحسين بن عليّ بن الحسن بن عليّ ، وكان ممن تطلع إلى الخلافة واعتبر العباسيين ممن غصبوها من العلويين، فخرج في المدينة واستولى عليها ثم خرج إلى مكة ليستولي عليها غير أن المكيين لم يستجيبوا له ، وأرسل الهادي جيشاً قضى عليه في مكان يدعى "فخ" وَسمَّوه "قتيل فخ"، وهرب من العلويين يحيى وإدريس ابنا عبدالله بن الحسن (أبناء عم الحسين بن عليّ) وأسس إدريس دولة الأدارسة في المغرب، واتجه يحيى إلى الشرق إلى بلاد الديلم.

-وفاة الهادي:

أراد الهادي أن يخلع أخاه الرشيد ويولّي ابنه جعفراً، ولكنه لم يمكن من ذلك وساعد الرشيد في هذا يحيى بن خالد البرمكي ،وكان ملازماً للرشيد فاستدعاه الهادي فقال له أريد أن أخلع الرشيد، فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل ولكن اجعلها لجعفر بعد الرشيد حتى لا يقول

الناس أنك تلاعبت بالمواثيق، فرضي عن ذلك ثم مرض ومات في ثلاث أيام وبايع الناس الرشيد.

-خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبدالله(170-193هـ/ 786-808م):

وتُعدُّ مُدّة حكمه نادرة في التاريخ الإسلامي، واختلطت الحقائق فيها بالأساطير والقصص عند بعض ممن يتقصد تشويه تاريخه الحافل بالعلم وتوقير أهله، وذاع صيته في الآفاق لشجاعته وحنكته ،وتقرب إليه الغربيون النصارى طلبا لرضاه، وكان ذو شخصية قوية محباً للعلماء، موقراً لهم ، وهي السمة الغالبة عليه، وعرف عنه التأثر الشديد بالمواعظ وله مواقف فيها مع الإمام العالم الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ،كما عرف عنه سرعة البكاء إذا ذكر بالله ، وهكذا كان الرشيد، وأمه هي خيزران.

أهم الأحداث الداخلية في عهده:

- حركة العلويين في عهده:

أراد الرشيد أن يستمر في الهدنة التي كانت بين العباسيين والعلويين في عهد أبيه المهدي مدّةً ولكن العلويين لم ينسوا ما استقر في عقيدتهم من أحقيتهم في الخلافة فكان ممن خرج عليه:

- **يحيى بن عبدالله بن الحسن ين الحسن:** في المشرق عام 176هـ، وهو من الناجين من وقعة "فخ" أيام الهادي، وقد أراد الخروج على الرشيد فسير له جيشا في خمسين ألفا بقيادة الفضل بن يحي بن خالد البرمكي، فاستمال يحيى بن عبدالله ورضي بالصلح وعاد يحيى مع الرشيد الذي أكرمه غاية الإكرام إلى حين ثم أمر جعفر فسجنه ثم أطلقه جعفر دون أمر الرشيد فكان من أسباب نكبة البرامكة.

- **إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن:** توجه إلى المغرب واستطاع أن ينشأ دولة بمعاونة البربر وهي دولة الأدارسة والتي ظلت قائمة في بلاد المغرب وعاصمتها فاس حتى قضى عليها الشيعة الروافض العبيديون(الفاطميون)

-**حركة الخوارج:** كان ممن خرج من الخوارج على بني العباس رجل يدعى "الوليد بن طريف الشاري" ، استولى على مدينة نصيبين فأرسل إليه الرشيد "يزيد بن مزيد الشيباني" فحاوره، وتلاقى الجيشان وخرج الوليد يرتجز:

أنا الوليـدُ بنُ طريـف الشـاري قسـورةٌ لا يصطـلى بالنـار

جوركم أخرجنـي مـن داري

وبرز له يزيد بن مزيد، فتناجزا طول النهار ثم حانت فرصة ليزيد فضربه فأوقعه عن حصانه ثم تكالبوا عليه فقتلوه وانتهت بذلك فتنته.

-**أسرة البرامكة ومكانتها من خلفاء بني العباس:**

أسرة البرامكة خدمت العباسيين زمناً طويلاً، ورأسها هو "خالد البرمكي" الذي كان يعمل مع أبي مسلم الخراساني، ثم تولى أمر العراق دون أن يكون وزيراً أيام أبي العباس السفاح بعد مقتل أبي سلمة الخلال وتركه المنصور كذلك في منصبه وولاه الموصل حتى مات عام 163هـ في خلافة المهدي، وكان ابنه يحيى بن خالد ممن تربى في ظل العباسيين ،وكان من أكثر الناس أدباً وعلماً وإخلاصاً للرشيد وولّاه المنصور من قبل أذربيجان عام 158هـ، وهو الذي أشار على الهادي أن يترك بيعة الرشيد في موضعها وأشار على الرشيد أن لا يتنازل لجعفر بن هادي بعد أن أوشك على ذلك، وقد قام مع أم الرشيد الخيزران بشؤون البيعة له بعد وفاة الهادي وعادت للخيزران قوتها وكانت تستشير يحيى في كل الأمور كذلك الرشيد الذي ضمن

له خاتم الخلافة فأصبح يسمى "صاحب الرياستين"، وكان ليحيى أربعة أولاد هم من درر الدنيا وعيونها:

●**الفضل بن يحيى**: وهو من عمر الرشيد، وقد أرسله الرشيد لقتال يحيى بن عبدالله بن الحسين، فاستطاع أن يستميله دون قتال وعرف له ذلك الرشيد، فأكرمه إكراماً عظيماً وجعله معلماً ووصياً على ابنه الأمين وولاه خراسان

●**جعفر بن يحيى**: وكان قمة أبناء برمك، وكانت له منزلة عظيمة عند الرشيد تحكيها كتب السير إذ كان لا يجلس لسمر أو حديث إلا و معه جعفر وأخته العباسة بنت المهدي حتى شاع أنه زوّجها له سراً حتى يمكن أن يدخل عليها في حضرة الرشيد بلا مانع، وهو أمر أنكره العارفون بالسير وإن كان في كتب الأدب. وكان جواداً فصيحاً بليغاً سخياً أكثر مما يحتمله الوصف، وقد ولاه الرشيد مصر عام 176هـ، ثم ولاه الشام بعد أن خرجت عليه فاستطاع اخضاعها ثم استشفع الرشيد في أهلها أن لا ينتقم منهم.

- **موسى بن يحيى**: وكان قائداً محنكاً وشجاعاً استطاع أن يخمد ثورة الشاميين مع أخيه جعفر.
- **محمد بن يحيى**: وكان بعيد الهمة مِقْداماً إلا أنه لم يكن مشهوراً كإخوته.

-نكبة البرامكة:

كانت العلاقة بين الرشيد وبين عائلة يحيى بن خالد من القوة بمكان ، فالخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل بن يحيى، كما كان يحيى بن خالد قائماً بأمر الرشيد فكان الرشيد يدعوه أبي، ولكن الفضل كان متشبهاً بأبيه في فضله فلم يكن يشرب النبيذ ، وقال: لو أعلم أن الماء ينقص من مروءتي ما شربته، وكان جعفر أقربهم وداً ومنادمة للرشيد، وكان أبوه يحيى ينهاه عن مجالسة الرشيد إلى هذه الدرجة فهو يعلم طبع الملوك، ولكن دون جدوى، وقد احتار الناس في السبب الذي أوقع البرامكة في النكبة المشؤومة، فظنوا أنها وليدة حادثة بعينها، إلا أنها وليدة أمور

تراكمت، فقيل هي بسبب حادثة يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي أمر الرشيد بحبسه بعد أن استطاع فضل أن يثنيه عن القتال، ثم أخرجه جعفر دون إذن الرشيد الذي أعلمه بذلك الفضل ابن الربيع بن يونس، والربيع بن يونس كان حاجباً للمنصور ،كما سبق وكذلك للمهدي وهو الذي دبر موضوع ابن يعقوب بن داوود وجعل المهدي يقتله وسبب خلعه من الوزارة، وابنه الفضل بن الربيع من موالي العباسيين وكان ممن تطلع إلى القوة والسيطرة إلا أن الخيزران لم تمكنه إلى أن ماتت عام 180هـ، فعينه الرشيد حاملاً للخاتم وكان يحقد على آل برمك لمكانتهم، وهو من أوعز في نفس الرشيد أن البرامكة يقفون في صف العلويين ويفضلونهم عليه من هذه الواقعة. وقال البعض أنه مجرد الملل يصيب الملوك من طول العشرة فيريدون التغيير، وبدأت معاملة الرشيد تتغير ويلقي كلاماً لا يرضاه يحيى بن خالد ويجعله يستأذن عليه بعد أن كان يدخل عليه بلا استئذان، فعلم يحيى أن أمرهم تغير، وقد كانت كذالك زبيدة زوج الرشيد تكره جعفراً لأنه كان يُحسِّن له أمر المأمون دون ولدها الأمين، فخافت إن مات الرشيد أن يوقع جعفر بين الأخوين، وفي عام 186هـ، بعد أن حج الرشيد، قُتل جعفر وحبس يحيى بن خالد وابنيه الفضل وموسى، وأطلق محمد وبذلك انتهت وزارتهم بسبب وشاية بعض الحاقدين والمغرضين.

- العلاقات الخارجية للعباسيين في عهد الرشيد:

- **الدولة البيزنطية:** اتسمت العلاقة بين الرشيد والدولة البيزنطية بعدم الاستقرار فقد نقض "نقفور" إمبراطور البيزنطيين عهد "إيرين" وصلحها، **بعد أن هزمهم الرشيد في عهد أبيه المهدي** ، فجهز له هارون جيشا فهزمه وأرغمه على الصلح ــ كما سنبين تفصيلاً في باب فتوحات وغزوات بني العباس ـ

- **دولة الفرنجة (شارلمان)**: أما علاقات الرشيد بالفرنجة وملكها شارلمان فقد قيل الكثير عن البعثات التي تبادلها وأنه كانت بينهما علاقات طيبة وأن ذلك لما كان بينهما من مصلحة مشتركة.

7. شخصية الرشيد:

وقد كان الرشيد من الشخصيات التاريخية البارزة ، فقد كان متدينا يلتزم بالتكاليف الشرعية، والصلاة اليومية، كما كان يحج عاماً ويغزو في سبيل الله عاما، فحج تسعة أعوام ، وقد قاد غزوات عديدة بنفسه على الدولة البيزنطية وكان يقتحم الصعب ويقف في المواقف الخطيرة قبل جنوده. وكان يميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في دين الله، ويسرع الرجوع إلى رحاب الحق إذا ذكر، وحدث أنه حبس أبا العتاهية الشاعر، ووكّل به رجلاً يكون قريباً منه لينظر ما يقول و يصنع، فكتب أبو العتاهية على الحائط:

أمـــا والله إنَّ الظلـــمَ لـــؤمٌ ... ومـــازالَ المـــسيءُ هـــو الظلـــومُ

إلى الـــديانِ يـــوم الـــدين نـــمضي ... وعنـــد اللهِ تجتمـــعُ الخصـــومُ

فجاء الرجل وأخبر هارون الرشيد، فبكى الرشيد، وأطلق أبا العتاهية واعتذر إليه واسترضاه.

.-ولاية العهد ووفاة هارون الرشيد:

وقد أخذ الرشيد البيعة لابنه الأمين عام 175هـ وهو أصغر من أخيه المأمون وذلك بتأثير من أم الأمين "زبيدة بنت جعفر بن المنصور" ابنة عم الرشيد، ثم بايع للمأمون وهو ابن مراجل زوجة الرشيد الثانية وهي جارية وليست حره (أم ولد) عام 183هـ بتأثير من جعفر بن يحيى البرمكي ومن بعدهما القاسم المؤتمن بتأثير من عبد الملك بن صالح مربيه عام 186هـ، وقد ولَّى الرشيد المأمون خراسان وكافة أعمال المشرق، وولى المؤتمن الجزيرة والثغور وكان الأمين في الخامسة من عمره حين ولاه أبوه العهد، وقد خشي الرشيد من الصراع بين ابنيه فأخذ البيعة

وعلقها في الكعبة حين حج عام 186هـ، ولكن ذلك لم يمنع ما حدث بينهما بعد، خرج الرشيد إلى قتال رافع بن الليث، ولكن المنية وافته في طوس عام 193هـ.

- **خلافة محمد (الأمين) بن هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي)** (193-198هـ/ 808-813م):

تمت البيعة له بعد وفاة الرشيد، وأمه زبيدة ابنت عم الرشيد، وهو عربي أصيل، وقد استمر في الخلافة خمس سنوات كانت كلها حرب بينه وبين أخيه المأمون حتى قتل وعمره لا يتعدى 28 عاما!.

الأزمة بين الأخوين: تأزمت الأمور بين الأخويين بمجرد تولي الأمين الخلافة، ومن الضرورة أن نشير إلى أنه كانت هنالك أسباب عديدة أدت إلى هذا العداء القاتل بينهما، نذكرها فيما يلي:

- **العصبية العربية والفارسية:** وأثرها واضح في الصراع الناشئ بين الأخوين، إذ تحيزت للأمين عصبية عربية تمثلت في الفضل بن ربيع بن يونس رغم أنه أصلاً من موالي كيسان، وكان جده مولىً لعثمان، وكان الفضل وزيراً وناصحاً للأمين، ووقف بجانب المأمون الخُراسانيون وعلى رأسهم الفضل بن سهم السرخسي، نسبة إلى مدينة "سرخس" بخراسان، وهو وزير المأمون وصاحب تدبيره اتصل به في حياته واسلم على يده سنة 190هـ وكان مجوسياً، وكان حازماً من الأكفاء، وقد كان يحلم بإعادة القوة إلى خراسان وأن تنتقل العاصمة إلى مرو حيث كان المنصور يتخذها عاصمة لبعض الوقت قبل إنشاء بغداد.

النزاع بين الأخوين:

- **الفترة الأولى - السلمية:**وكانت تتمثل في مكاتبات بينهما بدأت بمحاولة كل منهما أن يظهر الود والأمان لأخيه، إلا أن الأمين كان قد عزم على الغدر منذ اللحظة الأولى، بل إنه قد صرح بهذه النية للفضل بن ربيع بعد أن حلف اليمين في مكة في

حضرة أبيه الرشيد! وما أن تمت البيعة له حتى بدأ في محاولة سلب أخيه المأمون من سلطته فأمر من كان مع المأمون في طوس حين وفاة أبيه من القواد بالتوجه إلى بغداد بعدتهم وعتادهم ، ففعل الكثير منهم مما أحزن المأمون ولكن الفضل بن سهل أقنعه بأن الأمر لم يخرج من أيديهم بعد، وأنه سيفعل كل ما يمكن ليضمن لهم ولاية العهد، ثم استمرت المكاتبات بين الأخوين، وأرسل المأمون العديد من الهدايا العظيمة دلالة على ولائه له، ولكن الأمين كان مدفوعا بفكرة التخلص من أخويه، فنزع ولاية العهد من أخيه القاسم المؤتمن، وأخذ ما في يده من ولايات وأموال، فلما علم ذلك المأمون عرف أن هذا الأمر لابد من أن ينتهي نهاية غير سعيدة، ثم وسوس الفضل بن الربيع للأمين أن يرسل وفدا إلى المأمون ويدعوه إلى خلع نفسه وأن يتنازل عن ولاية العهد لموسى بن الأمين، إلا أن المأمون رفض وأبى ذلك، ولمّا بلغ ذلك الأمين غضب، وأشار عليه الفضل أن يخلع أخاه علانية ،ثم بعث الفضل إلى مكة فأحضر كتاب الرشيد ومزقه، وكان ذلك من الأخطاء الجسيمة إذ أن والي مكة وكبارها قد شهدوا عليه، ونزعوا يدهم من طاعة الأمين، وقبل أن يعلن الأمين خلع أخيه أرسل إليه أن يتنازل عن بعض الولايات في الشرق ليديرها هو ويعين عليها بعض عماله، فأشار عليه بعض حاشية المأمون بالموافقة إلا أن الفضل بن سهل رفض وأقنعه بعدم الموافقة فرد الوفد، ثم حاول الأمين مرة أخرى أن يفرض سيطرته على كور خراسان فأرسل إلى عامل المأمون على إحدى المدن أن يرسل له بعض الطرف ففعل فعزله المأمون، ثم أمر الأمين أن لا يدعو الخطباء للمأمون وأن يدعو لابنه موسى، وأعلن خلعه ، فخلعه المأمون ومسح اسمه من الكتب، وبدأ كل فريق يستعد للحرب التي أصبحت لا مفر منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- **الفترة الثانية – العسكرية**: جهز الأمين جيشاً بقيادة عليّ بن عيسى بن ماهان لقتال المأمون، وكانت تلك غلطة أخرى من غلطاته، إذ أن الخراسانيين يكرهون عيسى منذ أن كان والياً عليهم أيام الرشيد، وأخرج المأمون جيشاً بقيادة طاهر بن عيسى الخزاعي، وتلاقى الجيشان قرب مدينة "الري" وتقاتلا قتالاً شديداً وانهزم جيش عليّ بن عيسى ثم قتل، وبلغ ذلك الأمين ، فجهز جيشا أخر وأمّر عليه "عبد الرحمن بن جيلة الأنباري" وتلاقى الجيشان وانهزم جيش عبد الرحمن، ثم حاول الأمين أن يثير نخوة العرب فأرسل إلى أحمد بن يزيد (الذي قتل الوليد بن طريف الشاري الخارجي) فجهز له جيشاً وأمره بالخروج فخرج وعسكر في حلوان، ولكن طاهر استطاع أن يبث جواسيس توقع بين جند أحمد حتى تقاتلوا فيما بينهم وانهزموا دون قتال طاهر، وكان المأمون قد أرسل جيشا بقيادة هرثمة بن أعين (قائد الرشيد) لمساعدة طاهر وحصار بغداد، وقد حاول الأمين كذلك جمع جيشا من العرب في الجزيرة إلا أنه لم يفلح، وحوصرت بغداد سنة 196هـ، واشتد الحصار على أهلها وخربت المدينة وانتشرت الجريمة إذ أن الأمين استعان بالمساجين لتكوين جيش فعاثوا فساداً، وكتب كثير من الشعراء في وصف المعاناة التي عاناها أهل بغداد ومنهم "عمرو بن عبد الملك الوراق":

من ذا أصابك يا بغدادُ بالعين ... ألم تكوني زماناً قرة العين

ألم يكنُ فيك قومٌ كان مسكنهم ... كم قربهم زين من الزين

صاح الغرابُ بها بالبين فافترقت ... ماذا لقيت بهم من لوعة البين

استودع الله قوماً ما ذكرتهم ... إلا تحدر ماء العين من عيني

كانوا ففرقهم دهرٌ وصدَّعهم ... والدهرُ يصدعُ ما بين الفريقين

ولما فقد الأمين ماله وتعذر الحال في بغداد نصحه الناس بأن يطلب الأمان لنفسه ويسلم، فرضي أن يسلم نفسه إلى هرثمة إذ أنه علم أن طاهراً لا يرحم، ولكن طاهراً أرسل له مجموعة من الخراسانية قبعوا له عند خروجه في مركب هرثمة وقتلوه.

-خلافة عبد الله (المأمون)بن هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) (198-218هـ/813-833م):

هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد وأمه مراجل الفارسية (أم ولد) تولى العهد عام 183هـ ثم بويع بالخلافة عام 198هـ بعد مقتل أخيه الأمين، وكان محباً للعلم والعلماء، ولكن يجب التنويه بخلفيته التي تربى فيها لمعرفة الأسباب التي أدت إلى مادار في زمانه، فقد كان الرشيد قد وضع المأمون في حجر جعفر البرمكي يربيه ويرعاه، فلما مات تولاه الفضل بن سهل ولزمه ووجهه، وقد كان كل من جعفر والفضل من المتشيعين، وأصحاب الهوى العلوي، ويجب أن ندرك أن الهوى العلوي هنا ليس محبة في السنة ولا تقرباً إلى الله فإن غالب الرافضة ممن تعصب للبيت العلوي، ولكن ذلك كان مدخلاً لهم لإعادة القوة إلى فارس حيث إن العقيدة الفارسية وجدت طريقها إلى العقيدة الإسلامية من خلال النظر إلى أولاد عليّ ورفعهم إلى مرتبة الآلهة فتبنوا الدعوة العلوية، وكان أتباعهم ممن اختلط أمرهم، فأكثرهم من ذوي الأهواء الرافضية، كذلك لا يخفى أنهم اتخذوا الشعار الأخضر وهو شعار الفرس ، كان هذا هو الجو الذي أحاط بالمأمون، فكان هواه علويا رغم أنه عباسيٌ أصيل. وكان ذلك أكبر الأثر على مجريات الأحداث.

حاشية المأمون وبطانته:

سبق أن ذكرنا أن الفضل بن سهل كان الناصح الأمين للمأمون إضافة إلى بطانة المعتزلة ويترأسها ابن دؤاد، و قد هيأ ابن سهل له سبل النجاة لتولي الخلافة كما سبق وذكر، إلا أن ذلك كان لغرض الوصول إلى مطامعه، وكان أن أراد المأمون أن يجازي الفضل فولاه كل أمره وأصبح هو لا قوة له ولا أثر، وسماه "ذو الرياستين" أي رياسة السيف والقلم، ولكن الفضل نصح

لمأمون أن يظل بخراسان وألا يعود لبغداد، وذلك للتمهيد لنقل الخلافة إلى مرو كما دبّر وكانت أهواؤه الفارسية لا تخفى إذ جعل لنفسه كرسيا ذا جناحين يجلس عليه ويحمله عليه الرجال وهي عادة كسرويه، وقد كتم عن المأمون كل مجريات الأحداث في بغداد وفي أنحاء الدولة ليصرفها بمعرفته، وكان أول ما فعل أن أبعد القائدين العظيمين "هرثمة بن أعين" و"طاهر بن الحسين" عن مراكز القيادة .

الحركات التي قامت ضد العباسيين :

حركة الزط: الزط هم جماعة من الموالي خرجوا على الحكم الأموي أولا ،ثم الحكم العباسي ثانية وقد وجدوا الفرصة سانحة للثورة في إبان صراع الأخوين، ثم اشتدت شوكتهم وكانوا من الحزق بمكان، فكانوا يختفون في الجبال والبراري حين مواجهة الجيوش، ولم يستطع المأمون أن يقض عليهم حتى أيام المعتصم أخيه.

بابك الخرميّ: البابكية حركة دينية الطبيعة سياسية المظهر، قصدت إلى هدم العقيدة الإسلامية لصالح عقيدة الفرس والمانوية القديمة، آمن أتباعها بالتناسخ، وبحل الحرمات وإباحة التمتع وأن الرسل كلهم يحملون روحاً واحدة يتبادلونها! وأن الوحي لم ينقطع وأن كل من آمن بإله فهو ناج من أهل الجنة، وقد ظهر بابك عام 201هـ، وقد اتبعه الكثير من الفرس وانتشرت دعوته في بلاد فارس ولم تنجح حملات المأمون في القضاء عليها، حتى بعد وفاته.

أ.الحياة الفكرية والعلمية في أيام المأمون:

كانت فترة حكم المأمون أخصب الفترات التي مرت بالعصر العباسي إذ أنه كان يشجع العلماء وينفق على طلبة العلم ويجالسهم في كل وقت، كما أنه شجع حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية فترجمت أمهات الكتب اليونانية والرومانية وكانت الدولة تشتري الكتب وتدفع فيها الغالي من الثمن، وقد أثرت الثقافات المختلفة في كثير من الناس ، فنشأت البدع وظهرت الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة متأثرة بالمنطق الإغريقي وتأثرت الصوفية بالثقافات الهندية

وبالأفلاطونية ،وكان رواد حركة الترجمة "حنين بن إسحاق" وابنه "إسحاق" و"ثابت بن قرّة"، كما كانت هناك عائلات تتبنى العلم كبني شاكر (محمد وأحمد والحسن) وبني منجم الذين ولعوا بالفيزياء والفلك، كما ظهر الخوارزمي الرياضي وانتقلت الأعداد الهندسية إلى العرب، وأبو سليمان المنطقي السجستاني، وأجرى المأمون التجارب لإثبات كروية الأرض ومدى هذه الكروية، وقد برز في هذا العصر الجاحظ المعتزلي، صاحب كتاب الحيوان، و البيان والتبين، وأخبار الحمقى والمغفلين، والبخلاء وغيرها، وابن قتيبة صاحب عيون الأخبار ،ومختلف الحديث وغيرهما، وهذا الاتجاه العلمي لدى المأمون مع خلفيته الفارسية العلوية، جعلته ينحني منحى الاعتزال بإعاز من وزيره المعتزلي أحمد بن دُءاد والذي تولى كبره زمن المأمون وبالغ في أذى أهل السنة قصداً وعمداً وحقداً ويضرب العالم الإسلامي بفتنة القول بخلق القرآن ،وامتُحن فيها العلماء والعامة من الناس ، فقيض الله لهذه الشبهة والبدعة المنكره إمام أهل السنة في زمانه أحمد بن حنبل رحمه الله لردها وقمعها ،فكان جلاؤها على يديه بفضل من الله فصبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على الأذى في سبيل ذلك وكانت العاقبة للمتقين .

ب-محنة الإمام أحمد بن حنبل وأحداثها :

عاش الإمام أحمد بن حنبل في كنف دولة بني العباس ، في وقتٍ تميز بالاستقرار السياسي في معظم فتراته ،وعاصر الإمام أحمد ثمانية من الخلفاء وهم : (المهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل) .

ويعد هذا العصر عصر انتصاراتٍ واسعةٍ ، وحضارةٍ مزدهرةٍ ، وقوةٍ وهيبةٍ للخلافة ، وكانت الحركةُ العلمية قويةً جداً ، فبغداد دار السلام والخلافة والعلم والعلماء .

ولكن ما يُلحظ على هذا العصر- المزدهر في شتى مجالاته –ما صاحبه من تعكير صفوه بتأثير الفرس والروم السيء سياسةً وفكراً وعقيدةً ، وزاده سوءاً ما عُرِّب من كتبهم وكتب اليونان والهند، فيما عرف بحركة الترجمة والنقل والتي كانت على أشدها في عهد المأمون ،

فابتليت الأمة بفتنةٍ عمياء ومحنةٍ شنعاء ألا وهيَ " محنة القول بخلقِ القرآن " والتي حُمل الناس على القول بها ، وقد بدأها الخليفة العباسي المأمون ، وذلك بعد أن استحوذ المعتزلة عليه فأزاغوه ، وزينوا له هذا المذهب الفاسد ، ولم يكن خليفة من الخلفاء قبله إلا وهو على مذهب السلف ومنهاجهم القويم ، وبعد تولي المأمون الخلافة سنة (198هجرية) ظهرت الدعوة إلى القول بخلق القرآن ، بسبب تقريبه لأهل البدع والإعتزال من أمثال أحمد بن أبي دؤاد الذي كان رأس الفتنةِ ومشعلها في الأمة –عامله المولى بما يستحق والسبب في ميل المأمون للمعتزلة وتقريبه لهم أنه كان تلميذاً لأبي الهذيل العلاف والذي كان من رؤوس المعتزلة .

فأخذ المأمون يعمل جاهداً في نشر الإعتزال طيلة تسع عشرة سنة دون أن يحمل الناس على ذلك بقوة السلطان ، فلما دخلت سنة 218 هجرية أمر بامتحان العلماء وحملهم على القول بخلق القرآن ، فكتب إلى نائبه في بغداد ، وهو إسحاق بن إبراهيم الخزاعي يأمره بحمل الناس على ذلك ، وقد استعمل في حمل العلماء على تلك المقولة التهديد والوعيد ، فمن امتنع منهم عن القول بخلق القرآن حُبس وضُيق عليه ، وضُرب وعُزل عن وظيفته ، وقطع رزقه من بيت المال ،ثم كتب إليه ثانية بإحضار أشخاص سبعة وهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وأبو مسلم المستملي ، وإسماعيل بن داود الجوزي ، وأحمد الدروقي ، وابن أبي مسعود فحملو إلى الرقة حيث المأمون ، فامتحنهم فأجابوا خوفاً من السيف ثم أطلقوا ، ولقد اغتم الإمام أحمد لإجابة هؤلاء ؛ لأن هذا مبدأ الأمر فلو صبروا لانقطعت الفتنة وانتهت المحنة ، ولكن الله غالب على أمره .

قال حنبل بن إسحاق : سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل – وذكر الذين حملوا إلى الرقة إلى المأمون وأجابوا – فذكرهم أبو عبدالله بعد ذلك فقال هؤلاء لو كانوا صبروا وقاموا لله لكان الأمر قد انقطع وحَذِرهُم الرجل –يعني المأمون– ولكن لما أجابوا وهم عين البلد اجترأ على

غيرهم ،وكان أبو عبدالله إذا ذكرهم اغتم لذلك ،ويقول :هم أول من ثلم هذه الثلمة ، وأفسد هذا الأمر .

ثم كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ثالثة يأمره بإحضار مزيد من العلماء لامتحانهم ، منهم : الإمام أحمد ، ومحمد بن نوح وعبيد الله بن عمر القواريري والحسن بن حماد سجّادة ، فأخذهم وامتحنهم فأبوا أن يجيبوا جميعاً ، ثم امتحنهم مرةً أخرى ، فمن امتنع أمر بحبسه وتقييده ، فلما كان بعد ذلك دعاهم جميعاً فأجابوا فخلى سبيلهم إلا الإمام أحمد ، ومحمد بن نوح ، فلم يجيبا أبداً وامتنعا عن القول بذلك ، فحُبسا أياماً ، حتى ورد كتاب المأمون من طرطوس " يأمر بحملهما مقيدين فحُملا إليه ، متعادلين على بعيرٍ واحدٍ بصورةٍ مزريةٍ مشينةٍ ، فلما كانا في الطريق قيل لأحمد : ألا ترى الباطل كيف ظهر على الحق ؟ فقال كلا ، إنّ ظهور الباطل على الحق أن تنتقل قلوب الرجال من الهدى إلى الضلال ، وقلوبنا بعدُ لازمة للحقٍ.

وفي الطريق جاءه أعرابي من العُبَّاد الزهاد يقال له جابر بن عامر فقال :من يدل على أحمد بن حنبل ؟ فأشاروا إليه وهو مقيد بالحديد ، فسلم على الإمام وقال له : يا هذا إنك وافد الناس اليوم فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا ، فتحمل أوزار الناس إلى يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر ، فإن ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإنك إن لم تقتل تمت ، وإن عشت عشت حميداً ، قال أحمد –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : كان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من رد الذي يدعونني إليه .

ولقيهما في الطريق أيضاً أبو جعفر الأنباري فقال للإمام أحمد : أنت اليوم رأس الناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلقٌ من خلقِ الله ، ومع هذا فإن الرجل أن لم يقتلك فأنت تموت ، ولابد من الموت فاتق الله ولا تجبهم بشيء ، فجعل الإمام أحمد يقول له : ما شاء الله كان وما شاء الله سيكون .

ولما اقترب الإمام أحمد ومحمد بن نوح من معسكر الخليفة ونزلوا على مسافةٍ منه قال له محمد بن نوح : يا أحمد إني موصيك بوصيةٍ فاحفظها عني ، راقب الله في السراء والضراء ، واشكره على الشدّة والرخاء وإذا دعانا هذا الرجل أن نقول القرآن مخلوقٌ فلا تقل ، وإنْ أنا قلت فلا تركنْ إليَّ .

ثم جاء خادم المأمون وسيافه يبكي ويمسح دموعه ويقول : يعز علي يا أبا عبدالله ، إن المأمون قد سلَّ سيفاً لم يسلله من قبل ويقسم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف ! فرفع الإمام أحمد بصره إلى السماء وجثى على ركبته ، ودعا ربه قائلاً : سيدي ومولاي غر حلمُك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل فاللهم إن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته ، وكان الإمام أحمد يدعو الله ألا يريه وجه المأمون ، فلما بلغا الرقة تلقاهم نبأ موت المأمون في السنة نفسها (218 هجرية) ،فرُدّا إلى بغداد، فلما كان في طريق الرجوع توفي محمد بن نوح –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– ،فصلى عليه الإمام ودفنه ، وكان يقول : ما رأيت أحداً على حداثة سنه وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح .

– جيء بالإمام أحمد مقيداً حتى أدخل السجن فكانت بداية هذه المحنة العظيمة في هذه السنة (218 هجرية)

– **فتولى بعد المأمون المعتصمُ** فاقتفى أثر سابقه، واستفحلت المحنة بعد توليه الخلافة وأودع الإمام أحمد السجن وتلاحقت عليه ثلاث سنوات وهو في أغلاله ،ثم حولوه من السجن العام إلى دار إسحاق بن إبراهيم والي الخليفة على بغداد ليتداولوه على انفراد قبل أن يدخل على الخليفة في داره فناظروه وغلبهم في الحجة فقالوا له يا أحمد إنها والله نفسُك إنه لا يقتلك بالسيف ،إنه قد آثر إن لم تجبه أن يضربك وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، فلم يعبأ بهم وقال يأتوني بآية من كتاب الله وأنا أجيبهم ،فزادوا قيوده الحديدية حتى أصبحت في رجله أربعة منها فلم يستطع أن يمشي بها ،ثم جاؤوا به إلى دار الخليفة المعتصم ،وكان ذلك في شهر رمضان.

مناظرة الإمام أحمد لأهل البدعة بين يدي المعتصم:

قال سليمان بن عبدالله : أتيت إلى باب المعتصم وإذا الناس قد ازدحموا على بابه كيوم العيد ، فدخلت الدار فرأيت بساطاً مبسوطاً وكرسياً مطروحاً فوقفت بإزاء الكرسي ، فبينما أنا قائمٌ ، إذا المعتصم قد أقبل ، فجلس على الكرسي ، ونزع نعله من رجله ووضع رجلاً على رجلٍ ، ثم قال : يحضر أحمد بن حنبل ، فأحضر ، فلما وقف بين يديه وسلم عليه ، قال له : يا أحمد تكلم ولا تخف ، فقال أحمد : والله يا أمير المؤمنين لقد دخلت عليك ، وما في قلبي مثقال حبة من الفزع ، فقال له المعتصم : ما تقول في القرآن ؟ فقال : كلام الله غير مخلوق ، فقال المعتصم لمن حوله من علماء السوء من المعتزلة ناظروه ، فلما غلبهم قال : احبسوه ، فحبس وتفرق الناس .

وفي اليوم الثاني : أحضروه إلى دار الخليفة ، قال سليمان بن عبدالله : فلما أصبحت قصدت باب الخليفة فأدخل الناس فدخلت معهم فأقبل المعتصم وجلس على كرسيه ، فقال : هاتوا أحمد بن حنبل ، فجيء به فلما أن وقف بين يديه فقال له المعتصم كيف كنت يا أحمد في مجلس البارحة ؟ فقال بخير والحمد لله إلا أني رأيت يا أمير المؤمنين في محبسك أمراً عجيباً ، قال له : وما رأيت ؟ قال قمت في نصف الليل فتوضأت للصلاة وصليت ركعتين ، فقرأت في ركعة ، الحمد لله وقل أعوذ برب الفلق وفي الثانية الحمد لله وقل أعوذ برب الناس ، ثم جلست وتشهدت وسلمت ، ثم قمت فكبرت لكي أصلي ركعتين وقرأت :الحمد لله ، وأردت أن أقرأ : قل هو الله أحد فلم أقدر ، ثم اجتهدت أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر ، فمددت عيني في زاوية السجن ، فإذا القرآن ميتاً وجثته مغطاةٌ ، فغسلته وكفنته وصليت عليه ، ودفنته في زاويةٍ من زوايا السجن ، فقال له : ويلك يا أحمد وهل القرآن يموت ؟ فقال له أحمد : أنت تقول إنه مخلوق ، وكلّ مخلوقٍ يموت ، فقال المعتصم : قهرنا أحمد قهرنا أحمد، والمقصود أن الإمام أحمد حجَّ المعتصم بالحجج العقلية بعد أن حَجَهُ بالحجج النقلية .

فقال : ابن أبي دؤاد وبشر المرّيسي : اقتله حتى نستريح منه ، فقال : إني عاهدت الله أن لا أقتله بسيف ، قال أحمد بن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين هو والله ضالٌ مضلٌ مبتدعٌ وتتابع الحاضرون يلعنون ويسبون ، فقال المعتصم : ناظروه وكلموه ، والإمام أحمد يقول : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله ، وطال المجلس وانتقل المعتصم من الترغيب إلى الترهيب فقال المعتصم: يا أحمد أما كنت تعرف صالح الرشيدي ؟ قال أحمد : سمعت باسمه ، قال المعتصم : لقد كان معلمي ومؤدبي ، فسألته عن القرآن فخالفني ، فانتقمت منه ، يا أحمد أجبني إلى القول بخلق القرآن حتى أطلق عنك بيدي ، فأعاد أحمد قولته : أعطوني شيئاً من كتاب الله ، وفي اليوم التالي أعيد أحمد إلى مجلس الخليفة وأعادوا المناظرة – وكان ذلك في شهر رمضان – فلم يزالوا به من الصباح حتى الظهر وهو صامد بعون الله وتوفيقه يدافع عن منهاج الحق – منهج أهل السنة والجماعة – حتى غضب المعتصم واكفهرّ وجهه ، وقال : خذوه واسحبوه وقيدوه وعلقوه ، ثم جلس على كرسي ونادى : أحضروا العقَابَين والسياط ، والعقابان خشبتان منصوبتان يربط فيها المجلود من يديه ، ويرفع عن الأرض ليبقى معلقاً فيهما ... قال الإمام أحمد – يا أمير المؤمنين بم تستحل دمي ، يا أمير المؤمنين تذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك ، فارتجف المعتصم من قوله ، وكأنه أراد أن يعفو عنه ، فقال أهل الضلال من المعتزلة : يا أمير المؤمنين إنه كافر ضال مضل ، هو والله ضال مضل مبتدعٌ ، فتتابع الحاضرون يلعنون الإمام ويسبونه ، قال المعتصم : اضربوه، ولم يزل الإمام أحمد قائماً بين العقَابَين والسياط تقطع جسده ، كل جلاد يضرب سوطين ثم ينصرف ، حتى ذهب وعيه بعد ثمانيةٍ وثلاثين سوطاً ، فلما سكن الضرب عاد عقله مرةً أخرى ، قام المعتصم حتى وقف أمامه : وقال له يا أحمد أجبني إلى القول بخلق القرآن وأنا أطلق عنك بيدي ، فقال أحمد: آتوني شيئاً من القرآن وأنا أجيبكم ، وجعلوا يقولون له : ويحك الخليفة على رأسك ، فلم يقبل عليهم بشئ ، فأعادوا الضرب ، ثم دعاه الخليفة مرةً أخرى فلم يعقل من شده الضرب حتى ذهب عقله وحسه فأرعب ذلك المعتصم... ثم أمر به فأطلقوه.

أفاق الإمام أحمد من غيبوبته فوجد القيود وقد حُلّت من يديه ورجليه ، وقال له أحدهم : أنا كببناك على وجهك وطرحنا عليك بارية (شيء مثل الحصير) ودسناك بأقدامنا .

ضُرِب الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- نحو ثمانين سوطاً ضرباً مبرحاً شديداً حتى سال دمه على ثيابه ، وتقطع اللحم من جسده ، فحملوه من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم نائب الخليفة على بغداد وكان الإمام صائماً ، فجاؤا بشرابٍ ليفطر ، فامتنع من ذلك وأتم صومه ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين رمضان سنة إحدى وعشرين ومائتين ،وعلى الرغم من ذلك ظل أمر العقيدة أيام المعتصم والمذهب الرسمي للخلافة الإسلامية في جميع الأقطار هو مذهب المعتزلة بسبب حاشية الخليفة ، وبطانة السوء من أتباع الجهمية وعلماء الكلام .

ثم ولي الواثقُ بالله الخلافة بعد أبيه المعتصم فأظهر ما أظهره سلفه من حمل الناس على القول بخلق القرآن والانقياد لما يمليه عليه رأس المعتزلة وأحمد البدعة ابن دؤاد ، فلما دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين أمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، ولكنه لم يتعرض للإمام أحمد بشيء من هذا الامتحان ، بل اكتفى بالإرسال إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم أن يبلغ الإمام أحمد بأن لا يجتمع إليه أحد ولا يسكن بأرضٍ أو مدينة هو فيها ، وأن يلزم بيته ، ولا يخرج إلى جمعة ولا جماعة ، وإلا نزل بك مانزل بك في أيام المعتصم ، فاختفى الإمام أحمد بقية حياة الواثق ، ولم يزل ينتقل من مكان لآخر ثم عاد إلى بيته بعد أشهر ولزم منزله ، وامتنع من التحديث واستمر به ، ذلك إلى أن توفي الواثق سنة 232 هجرية وفي تعليل ذلك نقل عنه ابنه صالح أنه قال : إني لأرى طاعته في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة وإني لآسف عن تخلفي عن الصلاة ، وعن حضور الجمعة ، ودعوة المسلمين .

ثم ولى الخلافة بعده المتوكل ، فكشف الله به الغمة وأظهر السنة ومحا البدعة وأخمد الفتنة ، ففرح المسلمون بالفرج وقد أكرم الإمام أحمد وعظمه حتى كان لا يولي أحداً ولايةً إلا بمشورته وطلب منه الإقامةَ عنده فأبى ، هذا مجمل خبر المحنة ، ولقد خرج منها الإمام أحمد بعد صبره

منتصراً وبعد مكابدته مظفراً ، فجعل الله له قبولاً في الأرض حتى أصبح إماماً لأهل السنة والجماعة ، ومحنة لأهل الأهواء والبدعة ، ولقد صدق بشر بن الحارث أحد أصحاب الإمام أحمد إذ يقول : "إن أحمد أدخل الكير فخرج ذهباً أحمر "،وقال علي بن المديني : "أعز الله الدين بالصديق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة" .

ج-موقف الإمام المبجل أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من فكر الخروج على الأمراء وإن جاروا وظلموا وفقهه الدقيق في ذلك :

تقدم معنا شيء مما جرى للإمام أحمد بن حنبل من الابتلاء والامتحان وما حصل له في ذلك من شديد البلاء وعظيم الأذى حتى كاد أن يهلك في ذلك ، مع هذا كله لما أراد بعض الفقهاء الخروج بسبب هذه المحنة العظيمة نهاهم عن الخروج وناظرهم في ذلك ، فقد أخرج الإمام الخلال في كتابة السنة أن الإمام أحمد سئل عن الخروج على الواثق ؟ فأنكر ذلك عليهم ! وجعل يقول : سبحان الله الدماء الدماء ، لا أرى ذلك ولا آمر به ! الصبر على ما نحن فيه خيرٌ من الفتنة ، تسفك فيها الدماء، وتستباح فيها الأموال وتنتهك فيها المحارم ، أما علمت ما كان الناس فيه – يعني أيام الفتنة –، فقيل له : والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبدالله ؟ قال : وإن كان ! فإنما هي فتنة خاصة ، فإذا وقع السيف عمت الفتنة ! وانقطعت السبل ! الصبر على هذا ،ويسلم لك دينك خير لك ! وجعل ينكر الخروج على الأئمة !وقال الدماء لا أرى ذلك ولا آمر به .

وأخرج الإمام الخلال أيضا في كتابة السنة بإسنادٍ صحيح إلى الإمام أحمد أنه اجتمع إليه فقهاء بغداد فقالوا يا أبا عبدالله هذا الأمر قد تفاقم وفشا يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك ، فقال لهم أبو عبدالله – فما تريدون ؟ قالوا : أن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه ! فناظرهم أبو عبدالله ساعةً وقال لهم : عليكم بالنَّكَرة بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دمائكم، ودماء المسلمين معكم ، انظروا في عاقبة أمركم

واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر ،ثم قال الإمام : هذا خلاف الآثار التي أُمِرنا فيها بالصبر ، وكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يأمر بكف الدماء وينكر الخروج إنكاراً شديداً ، وكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول : إني لأرى السمع والطاعة في عسري ويسري ومنشطي ومكرهي وأثرة عليَّ ، وإني لأدعو الله لأمير المؤمنين بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار .

وهنا نرى الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قد جمع الله له بين الحسنيين فحينما أجبره المأمون فالمعتصم فالواثق على القول بخلق القرآن ومعصية الرحيم الرحمن أبى وثبت وصبر وتحمل السجن والجلد والتعذيب ، وفي الوقت نفسه لما جاءه الفقهاء يريدون الخروج على الواثق نهاهم عن ذلك وناظرهم وبيّن لهم سوء عاقبته وشؤم مغبته وأنه مخالف للآثار والنصوص الآمرة بالصبر على جور الأئمة وعدم نزع الطاعة من بيعتهم ،

وهذا هو حقيقة مذهب السلف الصالح – أهل السنة والجماعة – في هذا الأصل العظيم ، وهو أنه لا يجوز طاعة الولاة إذا أمروا بمعصية الله ، وفي الوقت نفسه لا يجوز الخروج عليهم بسبب تلك المعصية ،وإنما طاعتهم في المعروف ،فرحم الله الإمام أحمد ورفع قدره في الدارين وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء .

-خلافة محمد (المعتصم) بن هارون الرشيد بن محمد المهدي (218-227هـ/833-841م):

المعتصم أبو إسحاق ويلقب بالمثمّن، لأنه ثامن الخلفاء وأمه تركية الأصل، كان لا يحسن الكتابة ،ولكنه كان مقداماً شجاعاً، مولعا بالعمارة والزراعة ، قوياً شجاعاً لا يخشى الأعداء.

-اهم وزرائه:

محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات: وهو من أشهر الوزراء والكتاب في عصره، وقد عينه المنصور بعد أن سأل أحمد بن عمار عن معنى "الكلأ" فلم يعرف فقال الزيات: الكلأ هو العشب، فإن كان رطباً فهو "الخلأ" فإن يبس فهو "الحشيش" ثم استرسل في تقسيم أنواع

النباتات، فاعجب به المعتصم واستوزره، وكان الزيات من الشعراء وكان له أسلوب خاص به اصطنعه وعرف عنه وقد مدحه الكثير من الشعراء.

أحمد بن أبي دُءاد المعتزلي: ولم يكن وزيرا لكنه كان أقوى من الوزراء لدى المعتصم وقد أوصى المأمون أخيه المعتصم بأن يحسن إليه وأن يقربه ويستشيره، وكان أحمد عربياً من رءوس الإعتزال ومن الداعين إلى فتنة خلق القرآن ، وكان يُعِين المعتصم على حكمه، وكان المعتصم يعطيه طاعة تامة ولا يرد له أمرا مهما كان

-المعتصم والعنصر التركي:

يُعزى للمعتصم ما حل بالدولة من اضطرابات نتيجة اعتماده على الأتراك وتسييرهم أمور الدولة وهي دولة عربية أصيلة وكان ما كان من أمر سوء العلاقة بين العباسيين والخراسانيين وكذلك عدم ثقة المعتصم بالعرب مما أدى إلى محاولة اغتياله على يد "العباس بن المأمون"، فأبعد العرب والفرس وأوقع الدولة في يد الأتراك الأغراب عنها، وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور الدول الانفصالية عن الدولة.

-الأحوال الداخلية للدولة في عهد المعتصم:

العلويون الشيعة: مات في عهد المعتصم "محمد الجواد بن عليّ الرضا"، وكان زوجاً لابنة أخيه المأمون، أم الفضل، فحملت إلى بيت عمها وأكرمها، وتولى الإمامة "أبو الحسن عليّ الهادي بن محمد الجواد" وكان عمره سبع سنوات، وخرج في أيام المعتصم من الزيدية "محمد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين"، فأرسل إليه عبدالله بن طاهر والي خراسان فهزمه وحبسه المعتصم حتى عام 219هـ فهرب ولم يظهر بعدها.

عُرضت على المعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعد أن ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم، واختار المعتصم لعاصمته الجديدة مكاناً يبعد 130 كم شمال بغداد، وشرع في

تخطيط عاصمته سنة 221هـ\836مـ وبعث إليها بالمهندسين والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء، وعُني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمهاباعتبارها مركزاً حضارياً ومعسكرا لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن مكان إقامة السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو 19 كم، وكان تخطيط المدينة رائعاً يتجلى في شق عدة طرق متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع الخليج الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم 19كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريباً.

وأهتم المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة، وشجع قادته على المساهمة في الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمّعاً للصناعات المعروفة في عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة، كما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل الخليج الذي على دجلة رصيفا ومرسى لسفن التجارة.

كانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيرها من المساجد، فدعيت بـ "سُرَّ من رأى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها، وتكشف الآثار الباقية من مدينة "سامرّاء" على التقدم العمراني والحضاري الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري.

وفاة المعتصم: مات المعتصم مريضاً عام 227هـ، وولى ابنه الواثق من بعده

-خلافة هارون (الواثق) بن محمد ا(المعتصم) بن هارون (الرشيد) (227- 232هـ/ 841-846م):

أمه رومية (أم ولد) اسمها "قراطيس"، استمر على ما كان عليه أبوه وعمه من الاعتزال بل كانت أكثر حِدَةً من أيام أبيه لأن المعتصم لم يكن رجل علم وكلام، حتى لقب "بالمأمون الصغير"، فزادت أزمة خلق القرآن حدة في عصره.

-**وزراء الواثق**:

لم يستوزر غير محمد بن مالك بن الزيات رغم أنه حلف أيام أبيه أن ينكبه كنكبة البرامكة، إلا أنه وجد أنه أفضل من يسوس الدولة فابقاه وكفّر عن يمينه.

-الحركات الداخلية:

قامت في عهده حركات من الأعراب قريبا من المدينة من بني سُليم، ثم من فزارة وبني مرة وبني نمير، فأرسل جيشا من مماليكه بقيادة "بغا الأكبر" فهزمهم وأمّن الحجيج وطرق التجارة، ثم هرب الخارجون من بني فزارة وبني مرّة.

– **وفاة الواثق**: كان حكم الواثق أقل من سِتِ سنوات، وقد مرض بالاستسقاء ثم توفي، ولم يعيّن أحدا، وبموته انتهى العهد العباسي الأول، أيام كان الخلفاء لهم السيطرة والقوة والوقت وكانوا يقودون الجيوش ويفتكون بالأعداء داخلياً وخارجياً.

-جعفر (المتوكل) بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد (232-247هـ/846-861م):

هو أخ الواثق، وأمه أم ولد من خوارزم اسمها "شجاع". وقد عينته القوة التركية بدلاً من محمد بن الواثق الذي أراد أن يستخلفه الزيات وأحمد بن أبي دؤاد ،كان سنيّاً يجُل العلماء وهو من أنهى فتنة خلق القرآن وقرب إليه العلماء خاصة الإمام المحدث أحمد بن حنبل رحمه الله .

وزراء المتوكل:

محمد بن عبد الملك الزيات: وقد كَرِهَه المتوكل لما كان يبديه من عدم المبالاة أيام أخيه الواثق، كما أراد أن يعين محمد بن الواثق، فتركه عاما ثم قبض عليه ونكل به، وأخذ كل أمواله وعقاراته وسجنه حتى مات عام 233هـ.

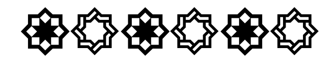
أحمد بن خالد : ولم يلبث إلا قليلاً ثم حبسه وصادر أمواله.

محمد بن الفضل الجرجرائي: وكان من أهل الفضل والعلم وظل وزيراً حتى عام 236هـ ثم صرفه المتوكل، لأنه مل الشيوخ وأراد أن يستوزر شبابا!

أحمد بن أبي دءاد المعتزلي: وقد كان عطوفاً على المتوكل في عهد أخيه، فحفظ له المتوكل ذلك أول الأمر وعينه قاضي القضاة، ولكن هذا لم يدم، إذ أنه مرض ولم يقدر على العمل فقام ابنه الوليد بعمله؛ ولكنه لم يكن نزيها كوالده فغضب المتوكل، وسجنه وأبوه وأخذ مالهم ، ثم باعوا كل ما يملكون ومات الوليد في السجن ومات بعده أبوه أحمد بعشرين يوماً.

- الشيعة في عهده:

أمر المتوكل بهدم قبر الحسين رغبة منه في القضاء على التشيع ومظاهر تأليه عليّ وبنيه، كما أنه قد كان أنهى مشكلة خلق القرآن وأعزّ أحمد بن حنبل وأكرمه.



أسئلة

س1 تحدثْ عن عهد أبي العباس السفاح .

س2 تحدثْ عن أوضاع المغرب في عهد أبي جعقر المنصور.

س3 ماهي أهم الحركات المعادية للعباسيين في عهد الخليفة المهدي العباسي.

س4 اكتب مذكرة مختصرة عن :

أ- أهم الأحداث الداخلية في عهد هارون الرشيد.

ب-الصراع بين الأمين والمأمون ونتائجه.

ت-الحركة العلمية في عهد المامون.

ث-محنة الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وما فيها من عبر ودروس

س5 تحدثْ عن الأحوال الداخلية للدولة العباسية في عهد المعتصم بالله العباسي.

س6/ أرسم مع زملائك جدولا زمنيا لخلفاء العصر العباسي الأول.



العهـــد العباسي الثانـــي عصر الضعف
(عهـد سيطـرة الأتراك)

كان عهد الواثق هو مفرق الطريق بين الخلافة العباسية التي تتمتع بالاستقلال وبين الخلافة الاسمية التي لا دور لها إلا الدعاء باسمها في الخطب ونقش اسم الخليفة على النقود، وكان ذلك نتيجة اعتماد الواثق على العنصر التركي الذي أسسه أبوه المعتصم لأن أمه تركية، وللخطر الذي استشعره من العنصرين العربي متمثلاً في حركات العلويين، والعنصر الفارسي الموالي للعلويين والذي كان أبوه وجده وعمه قد تخلصوا منهما من قبل ، وقد أدى هذا إلى سيطرة الأتراك على الولايات التي تحت حكمهم، ثم إنهم أرادو البقاء في العاصمة سامرّاء في هذا الوقت ليظلوا على علم بمجريات الأمور والتخطيط لأمور الدولة، فعينوا نواباً لهم مما أدى إلى أمور منها ؛أن هؤلاء النواب قد بالغوا في جباية الأموال حتى يرضوا رؤسائهم من الأتراك، ثم بدأت النزاعات الانفصالية تظهر في ولاياتهم مما يظهر القوة والقدرة على الانفصال لتلك الولايات، فأدّى هذا إلى ظهور الدولة الطاهرية، والصفرية ،والسامانية في الشرق ،والدولة الطولونية ، والإخشيدية في مصر، هذا مع استقلال دولة الأغالبة والأدارسة في المغرب ، وقد حرصت هذه الدول على أن تظل مرتبطة اسمياً بالخلافة العباسية لأنه لم تكن لها مقومات تجعلها تدّعي الخلافة لنفسها دون العباسيين ،كما أن ذلك يقوي أمرهم أمام العامة.

- الجيش وسيطرة الأتـراك:

أدرك المتوكل ما آل إليه أمر الخلافة ،فأراد أن يعيد الأمر ليد الخليفة، فبدأ في التفكير في الخلاص من سيطرة الأتراك ،فبدأ بالقائد "إيتاخ" الذي كان يسمى السلطان، وكان قد علم أنه لا يمكن أن يقضي عليه بين قواته في سامراء، فأوعز إلى إيتاخ الخروج إلى الحج ، فخرج إيتاخ

حتى وصل بغداد، فقالوا له أن المتوكل يريده أن يدخل بغداد وأن يعطي العطايا والصلات، فدخل بغداد ثم حيل بينه وبين غلمانه، واعتقل في بيت بها ومعه ولداه وكاتبه، وظل في هذا الحبس حتى مات عام 235هـ.

- ولاية العهد:

لما حدث ما حدث من فتك المتوكل بإيتاخ، استشعر الأتراك الخطر فبدؤوا يرصدون له، وقد كان أوصى لابنه محمد المنتصر، ثم محمد المعتز ،ثم إبراهيم المؤيد من بعده، وقسم البلاد بينهما فأعطى المنتصر مصر وما وراءها من أعمال شمال أفريقيا، وأعطى المعتز خراسان وما وراءها من بلاد المشرق، وأعطى المؤيد دمشق والأردن وفلسطين، وكتب بينهم كتابا مثل كتاب الرشيد!

- مقتل المتوكل:

انقسمت الحاشية إلى قسمين: الأول هم الفتح بن خاقان ووزيره عبيد الله بن خاقان وكان هواهم مع المعتز فأوعز إلى أبيه أن يقدمه على أخيه الأكبر المنتصر، والقسم الثاني هم القادة الأتراك الذين وقفوا مع المنتصر وأفهموه أن والده سينزع عنه الخلافة خاصة وانه مريض ، فقام "بغا الأصغر" أحد القادة الأتراك الموالين للمنتصر بالتوجه إلى قصر الخلافة مع عشر جنود ،وفتك بالمتوكل ومعه الفتح بن خاقان سنة 247هـ ، وقد قال في ذلك عليّ بن الجهم الشاعر:

عبيد أمير المؤمنين قتلنه ... وأعظم أفات الملوك عبيدها

بني هاشم صبرا لكل مصيبة ... سيبلى على وجه الزمان جديدها



أسئلة

س1 كيف تمكن العنصر التركي من السيطرة على مفاصل الدولة العباسية .

س2 تحدثْ عن مقتل الخليفة المتوكل العباسي على يد العناصر التركية في الدولة العباسية.

س3 ناقش مع زملائك كيف تغلغل العنصر التركي في الدولة العباسية.

❁❁❁❁❁❁

(تدوين علوم السنة في العصر العباسي الأول)

شهد العصر العباسي الأول تطوراً كبيراً وحركة كبيرة في تدوين العلوم وجمعها النقلية والعقلية على السواء، وكان لعلوم السنة السهم الوافر في الجمع والتدوين تحت رعاية خلفاء بني العباس فظهرت المسانيد والصحاح والسنن وانبرى لها رجالها من علماء الأمة ممن ذاع صيتهم وسارت بكتبهم الركبان رحمهم الله رحمة واسعة ،ونذكر في هذا الفصل جملة من أخبار فترة التدوين في القرنين الثاني والثالث الهجريين في العهد العباسي .

- التدوين في القرن الثاني الهجري:

في هذا العصر برز جيل أتباع التابعين – بعد جيل الصحابة والتابعين– في سلسلة رواة السنة ونقلة الدين إلى الأمة، ولقد كان لهذا الجيل أثره الرائد في التصدي لأصحاب البدع والأهواء، ومقاومة الكذب الذي فشا في هذا العصر على أيدي الزنادقة الذين بلغوا ذروة نشاطهم ضد أهل السنة ورواتها في منتصف هذا القرن، حتى اضطر الخليفة المهدي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– إلى تكليف أحد رجاله بتتبع أخبارهم ،والتضييق عليهم في أوكارهم، فأصبح ذلك الرجل يعرف بصاحب الزنادقة.

وقد نشط الأئمة والعلماء من هذا الجيل في خدمة السنة وعلومها، وحمايتها من كل ما يشوبها، وعلى أيديهم بدأ التدوين الشامل المبوَّب المرتب، بعد أن كان من قبلهم يجمع الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس بشكل محدود وكيفما اتفق بدون تبويب ولا ترتيب ،كما نشأ وظهر على أيديهم علم الرجال، بعد أن كان السؤال عن الإسناد قد بدأ في أواخر عصر الصحابة وكبار التابعين.

ولقد كان لهذا الجيل الريادة في ابتداء التدوين المرتب على الأبواب والفصول، كذلك كانت له الريادة في ابتداء التصنيف في علم الرجال، حيث ألف في تاريخ الرجال كل من: الليث بن سعد(ت175هـ)، وابن المبارك(ت181هـ)، وضمرة بن ربيعة(ت202هـ)، والفضل بن دكين(ت218هـ) وغيرهم ، ويعد هذا الجيل جيل التأسيس لعلوم السنة المطهرة ولا غرو، ففيه عاش جهابذة رجال السنة؛ أمثال الأئمة: مالك، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى.

- تطور التدوين في القرن الثاني:

أ- ظهور التفريق بين التدوين الذي هو مجرد الجمع ،وبين التصنيف الذي هو الترتيب والتبويب والتمييز في المصنفات في هذا القرن.

ب- أن هذه المصنفات المدونة في هذا العصر قد جمعت إلى جانب أحاديث الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، بعد أن كانت تتناقل مشافهة، وكانت الصحف فيما مضى تقتصر على الأحاديث النبوية فقط ،قال الحافظ بن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وانقسم الذين صنفوا الكتب أقساما؛ منهم من صنف كلام النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو كلامه وكلام أصحابه على الأبواب، كما فعل: مالك، وابن المبارك، وحماد بن سلمة، وابن أبي ليلى، ووكيع، وعبد الرزاق، ومن سلك سبيلهم إلى ذلك).

ج- طريقة التدوين في مصنفات هذا القرن هي: جمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد، ثم يجمع جملة من الأبواب أو الكتب في مصنف واحد، بينما كان التدوين في القرن الماضي مجرد جمع الأحاديث في الصحف من دون ترتيب أو تمييز ،قال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (ولم يكن العلم مدوناً أصنافاً، ولا مؤلفاً كتباً وأبواباً في زمن المتقدمين من الصحابة والتابعين، وإنما فعل ذلك من بعدهم، ثم حذا المتأخرون حذوهم) ، ووقال أيضاً الحافظ ابن رجب

الحنبلي(ت795): (والذي كان يكتب في زمن الصحابة والتابعين، لم يكن تصنيفا مرتباً مبوباً، إنما كان يكتب للحفظ والمراجعة فقط، ثم إنه في عصر تابعي التابعين صنفت التصانيف.).

د- إن مادة المصنفات في هذا القرن قد جمعت من الصحف والكراريس التي دونت في عصر الصحابة والتابعين، ومما نقل مشافهة من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

وقد حملت مصنفات علماء القرن الثاني عناوين: موطأ-مصنف-جامع-سنن، وبعضها كان بعناوين خاصة؛ مثل: الزهد، المغازي، والسير...إلخ ،قال الخطيب البغدادي- عند ذكره ما يجب أن يبتدئ به طالب العلم من الأمهات من كتب أهل الأثر والأصول: (ثم الكتب المصنفة في الأحكام، الجامعة للمسانيد وغير المسانيد- يعني الأحاديث والآثار- مثل كتب: ابن جريج، وابن أبي العروبة، وابن المبارك، وابن عيينة، وهشيم بن بشير، وعبد الله بن وهب، ووكيع، وعبد الرزاق بن همام، وسعيد بن منصور، وغيرهم) ،ثم قال: ((وأما موطأ مالك بن أنس، فهو المقدم في هذا النوع، ويجب أن يبتدأ بذكره على كل كتاب)).

وممن اشتهر بوضع المصنفات في الحديث في هذا القرن على سبيل المثال لا الحصر:

1- أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج(ت150هـ)بمكة.

2- أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي(ت156هـ)بالشام.

3- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب(ت158هـ)بالمدينة.

4- شعبة بن الحجاج(ت160هـ)بالبصرة.

5- أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري(ت161هـ)بالكوفة.

6-الليث بن سعد الفهمي(ت175هـ)بمصر.

7- الإمام مالك بن أنس(ت179هـ)بالمدينة.

8- عبد الله بن المبارك(ت181هـ)بخراسان.

9- عبد الله بن وهب المصري(ت197هـ)بمصر.

10 – سفيان بن عيينة(ت198هـ)بمكة.

11 – وكيع بن الجراح (ت197هـ)بالكوفة.

12 – أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ)بمصر.

13 – عبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت211هـ)بصنعاء.

- دراسة موجزة عن مصنف دُوِّن في هذا القرن وهو موطأ الإمام مالك:

ترجمة موجزة عن مؤلف كتاب الموطأ:

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن جثيل - بجيم وثاء مثلثة وياء ساكنة– وقيل خثيل، بخاء معجمة – بن عمرو بن الحارث، بن ذي أصبح، واسمه الحارث الأصبحي المدني، وكنيته مالك .

وذو أصبح أحد الأذواء، والأذواء يمنيون، وهو لقب من ألقاب ملوكهم قديما، وقد أوصل ابن خلكان نسب ذي أصبح إلى يعرب بن قحطان، وقال عن أسرته اليمنية إنها قبيلة كبيرة باليمن، وإليها تنسب السياط الأصبحية وينسب مالك إلى ذي أصبح فيقال له: الأصبحي.

والأصبحيون كانوا من عظماء اليمن، فنسبه من جهة أبيه يصل إلى ملوك حمير في الجاهلية، أما أمه، فهي: العالية بنت شريك بن عبد الرحمن القحطانية الأزدية. وقد كانت لهذه الأم شأن - و أي شأن– في نشأة ابنها وحسن توجيهه.

- مـولـده:

قال الذهبي في السير: "مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل".

وقد ذكر بعض الرواة أنه ولد قبل ذلك، وقال بعضهم: ولد بعد ذلك، ومن هؤلاء ابن خلكان الذي يقول في كتابه وفيات الأعيان: ولد سنة خمس وتسعين وحمل به ثلاث سنوات.

- صفته:

ذكر الذهبي في تاريخه عن عيسى بن عمر المدني قال: ما رأيت بياضا قط، ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب من مالك" .

وذكر الذهبي في تاريخه أيضاً عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: "ما رأيت أهيب من مالك بن أنس، ولا أتم عقلا ولا أشد تقوى".

- ابتداء طلبه العلم وثناء العلماء عليه:

قال الذهبي في السير طلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات".

وذكر صاحب حلية الأولياء عن عبد الله بن المبارك قال: ما رأيت رجلا ارتفع مثل مالك بن أنس ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

وقال الذهبي كذلك في السير عن ابن عيينة : "مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه".

و قال الشافعي كما في الحلية : إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

قال ابن مهدي كما في السير للذهبي : أئمة الناس في زمانهم أربعة: الثوري، ومالك، والأوزاعي، وحماد بن زيد. وقال: "ما رأيت أحدا أعقل من مالك".

-قوة حفظ مالك بن أنس:

ذكر ابن عبد البر في كتابه "الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء" أن مالكاً بن أنسٍ قال: (قدِم علينا الزهري، فأتيناه ومعنا ربيعة، فحدثنا نيفًا وأربعين حديثًا، ثم أتيناه الغد فقال:

انظروا كتابًا حتى أحدثكم منه، أرأيتم ما حدثتُكم به أمسِ، أي شيء في أيديكم منه؟ قال: فقال له ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدّثتَ به أمس، قال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامرٍ، قال: هاتِ، قال: فحدثتُه بأربعين حديثًا منها، فقال الزهري: ما كنتُ أرى أنه بقي أحدٌ يحفظ هذا غيري).

-لماذا سمي كتابه بالموطأ:

سمي بذلك لأمرين:

1- لأنه وطَّأ به الحديث، أي يسره ومهده وهذبه للناس.

2- لمواطأة علماء المدينة له فيه وموافقتهم عليه.

قال الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته بالموطأ)

وعن معن بن عيسى كما في تهذيب الكمال قال:" كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره وقال: قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".

-سبب تأليفه :

ذكر ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ، في كتابه الاستذكار أن أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك : (يا مالك ! اصنع للناس كتابا أَحْمِلُهم عليه ، فما أحد اليوم أعلم منك) فاستجاب الإمام مالك لطلبه ، ولكنه رفض أن يُلزِم الناس جميعا به.

مكث الإمام مالك أربعين سنة يقرأ الموطَّأَ على الناس ، فيزيد فيه وينقص ويُهذِّب ، فكان التلاميذ يسمعونه منه أو يقرؤونه عليه خلال ذلك ، فتعددت روايات الموطأ واختلفت بسبب ما قام به الإمام من تعديل على كتابه ، فبعض تلاميذه رواه عنه قبل التعديل ، وبعضهم أثناءه ،

وبعضهم رواه في آخر عمره ، وبعضهم رواه كاملا ، وآخرون رووه ناقصا ، فاشتُهِرت عدة روايات للموطأ ، من أشهرها:

- رواية يحيى بن يحيى المصمودي الليثي (234هـ) : وهي أشهر رواية عن الإمام مالك ، وعليها بنى أغلب العلماء شروحاتهم

وبلغت أحاديث الموطأ في رواية يحيى الليثي - وهي أشهر رواياته - 1942 حديثًا، تشمل المرفوع والموقوف، تطلبت من الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أربعين سنةً من التهذيب، والتنقيح، وتقليب النظر، قال الإمام الأوزاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "عرضنا على مالك الموطأ قراءةً في أربعين يومًا، فقال: "كتاب أَلَّفتُه في أربعين سنةً، أخذتموه في أربعين يومًا، ما أقل ما تفقهون فيه. "!

- رواية أبي مصعب الزهري : تمتاز بما فيها من الزيادات ، وبأنها آخر رواية نقلت عن مالك ، وهي متداولة بين أهل العلم.

- رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي (221هـ) : وهي أكبر روايات الموطأ وعبد الله من أثبت الناس في الموطأ عند ابن معين والنسائي وابن المديني

-ومن بين أهم شروح الموطأ:

1 - **الاستذكار** في شرح مذاهب علماء الأمصار، **والتمهيد** لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، كلاهما لابن عبد البر القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت463هـ) .

2- **المنتقى** شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي الأندلسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت474هـ).

- وفاته وثناء العلماء عليه:

توفي الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة (179هـ) في خلافة هارون الرشيد، وصلى عليه أميرُ المدينة يومئذ، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، في موضع الجنائز، ودُفن بالبقيع، وكان الإمام مالك يوم

مات ابنَ خمس وثمانين سنة، ذكر ذلك ابن عبدالبر رحمه الله في كتابه الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء .

قال عنه الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: لولا مالكٌ وابن عيينة، لذهب علم الحجاز.

وذكر ابن عبدالبر في في كتابه الانتقاء أن عبيدالله بن عمر القواريري قال: "كنا عند حماد بن زيدٍ، فجاءه نعيُ مالك بن أنسٍ، فسالَتْ دموعه، وقال: يرحم اللهُ أبا عبدالله، لقد كان من الدِّين بمكانٍ، ثم قال حماد: سمعتُ أيوب يقول: لقد كانت له حلقةٌ في حياة نافعٍ مولى عبدالله بن عمر" .

وقال عنه الإمام البخاري كما في الانتقاء لابن عبدالبر: "مالك بن أنسٍ،كنيته أبو عبدالله،كان إمامًا، روى عنه يحيى بن سعيدٍ الأنصاري".

وقال البخاري أيضاً كما في السير للذهبي:" أصحُّ الأسانيد كلها: مالك، عن نافعٍ، عن ابن عمر" .

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:" رحم الله مالكًا كان إمامًا، رحم الله الشافعي كان إمامًا، رحم الله أبا حنيفة كان إمامًا" ذكر ذلك ابن عبدالبر في كتابه الانتقاء

-التدوين في القرن الثالث الهجري:

يعد هذا القرن عصر ازدهار العلوم الإسلامية عامة وعلوم السنة النبوية خاصة بل يُعد هذا القرن من أزهى عصور تدوين السنة النبوية، إذ نشطت فيه الرحلة لطلب العلم ،ونشط فيه التأليف في علم الرجال، وتُوُسِّع في تدوين الحديث، فظهرت كتب المسانيد ،والكتب الستة الصحاح، والسنن التي اعتمدتها الأمة وكانت بمثابة دواوين الإسلام.

لقد برز في هذا العصر كثير من الحفاظ والعلماء الجهابذة من أمثال إسحاق بن راهوية ،وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبي عبد الله البخاري ،ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبي زرعة

وأبي حاتم الرَازِيَيْن، وعثمان بن سعيد وعبدالله بن عبد الرحمن الدارِمِيَيْن ،وغيرهم كثير ممن كان على أيديهم تأسيس كثير من علوم الحديث عموما وعلم الجرح والتعديل خصوصاً.

وكان التأليف في ذلك على نوعين :

الأول : ما جمع فيه مؤلفوه النصوص الواردة في العقيدة من الكتاب والسنة مع بيان منهج السلف من الصحابة والتابعين في فهم هذه النصوص وموقفهم من أصحاب الأهواء وكان أغلب هذا النوع بعنوان السنة مثل (السنة لأحمد بن حنبل) (والسنة لابنه عبد الله) (والسنة لأبي نصر المروزي وغيرها)

النوع الثاني : ما سلك فيه مؤلفوه مسلك الرد على المبتدعة وأصحاب الأهواء وذلك لهتك أستارهم وفضح أسرارهم وتحذير المسلمين منهم وبيان خطرهم على الأمة.

وحيث بلغ نشاط المعتزلة والجهمية ذروته بتبني الدولة العباسية في عصر كل من المأمون والمعتصم والواثق من آرائهم وعقائدهم فقد حضيت هذه الفرق بالنصيب الأكبر من هذه الردود من ذلك الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل ،والرد على بشر المريسي المعتزلي للدارمي ،وخلق أفعال العباد للبخاري ،وغيرها كثير ،وكما كان لأتباع التابعين في القرن الثاني جهود رائدة في خدمة السنة تدويناً والذب عنها وحمايتها من كل ما يشوبها جرحا وتعديلا؛ كذلك كان لهذا الجيل في القرن الثالث جهود جبارة وكبيرة في سبيل خدمة السنة وقمع من يخالفها من أهل الأهواء والبدع، ولقد تُوِّجت تلك الجهود في خدمة السنة بتلك المؤلفات المختلفة من كتب ،ومتون، ومسانيد، وصحاح، وسنن، وكتب الرجال المتنوعة في موضوعاتها ومجالاتها، إلى كتب العقيدة التي كثرت في هذا القرن ،كما توجت تلك الجهود في مجال قمع الأهواء والبدع ومحاربة أصحابها وكشف أسرارهم ،وتحذير الأمة من شرهم متمثلة في الوقفة الشامخة من أمام أهل السنة أبي عبدالله أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى في وجوه أهل التجهم والاعتزال الذين تكالبوا عليه بباطلهم وألّبوا عليه الحكام فصبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ، وكانت العاقبة له،وخرج من محنته

منتصراً مؤيداً من الله عزوجل، وقمعت بإذن الله البدعة ونكص أصحابها على أعقابهم مدحورين مخذولين ،وما مثلهم ومثل ما أرادوه من النيل من السنة وأهلها إلا كما قال الشاعر :

كناطح صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضّرها وأوهى قرنه الوعِلُ

وقد تميز التدوين في هذا القرن بما يلي :

1- تجريد أحاديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتميزها عن غيرها بعد إن كانت قد دونت في القرن الثاني ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

2- الاعتناء ببيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

3- تنوع المصنفات في تدوين السنة حيث ظهرت الأنواع التالية :

أ. كتب المسانيد التي تعنى بجمع أحاديث كل صحابي على حدة كمسند الإمام أحمد وغيره.

ب-كتب الصحاح والسنن التي تعنى بتصنيف أحاديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-على الكتب والأبواب مع العناية ببيان الصحيح من غيره كالكتب الستة وغيرها.

ج- كتب مختلف الحديث ومشكله مثل كتاب" اختلاف الحديث "للإمام الشافعي، و كتاب "اختلاف الحديث" لعلي بن المديني ،وكذلك كتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة وغيرها، وهناك الكثير من المصنفات في هذا القرن نكتفي بذكر القليل منها إشارة إلى الكثير.

- نبذة عن كتب المسانيد التي ظهرت في العصر العباسي في القرن الثالث :

المسند لغة : ما ارتفع عن الأرض وعلا عن السطح.

وفي الاصطلاح: أطلقه المحدثون على معنيين:

الأول: الحديث المسند قال الخطيب البغدادي :"وصفهم الحديث بأنه مسند يريدون أن إسناده متصل بين راويه وبين من أسند عنه ،إلا أن أكثر استعمالهم هذه العبارة هو فيما أسند عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خاصة، واتصال الإسناد فيه يكون كل واحد من رواته سمعه ممن فوقه حتى

ينتهى ذلك إلى آخره وإن لم يبين فيه السماع بل اقتصر عن العنعنة ،وعلى هذا المعنى أطلق بعض المصنفين على كتابه المسند ،مثل الجامع الصحيح المسند لأبي عبد الله البخاري ،وكذلك مسند الدارمي، وصحيحا ابن خزيمة وابن حبان وغيرها.

الثاني :كتب المسانيد ؛ وهي التي تخرج الأحاديث على أسماء الصحابة وضم أحاديث كل واحد من الصحابة بعضها إلى بعض، مثل مسندي الإمام أحمد، وأبي يعلى الموصلي وغيرهما.

-طريقة ترتيب كتب المسانيد وللعلماء في ذلك ثلاث طرق:

الأولى: ترتيب أسماء الصحابة على حرف المعجم من أوائل الأسماء فيبدأ –مثلا – بأبي بن كعب ثم أسامة بن زيد ثم أنس بن مالك وهكذا إلى آخر الحروف.

الثانية: الترتيب على القبائل فيبدأ ببني هاشم ثم الأقرب إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في النسب ثم من يليهم وهكذا.

الثالثة: الترتيب على قدر السابقين من الصحابة في الإسلام فيبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وهكذا.

قال الخطيب البغدادي وهذه الطريقة الأخيرة أحب إلينا في تخريج المسند.

-أهم كتب المسانيد على سبيل المثال لا الحصر:

1- مسند أبي داوود سليمان بن داوود الطيالسي (ت204هـ) وقد رد الحافظ السيوطي على من نسب هذا المسند للطيالسي وجعله أول مصنف في المسند باعتبار تقدم وفاته فقال إنما هو من جمع بعض الحفاظ الخراسانيين جمع فيه ما رواه يونس بن حبيب الأصبهاني خاصة عنه وشذ عنه كثير منه ويشبهه هذا مسند الشافعي فإنه ليس تصنيفه وإنما لقطه بعض الحفاظ النيسابوريين من مسموع الأصم من كتاب الأم فإنه كان سمع الأم أو غالبها على الربيع عن الشافعي وقد رتب هذا المسند على أبواب الفقه

2- مسند أبي بكر بن أبي شيبة (ت235هـ) وهو غير المصنف المطبوع .

3 – مسند إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بن راهوية المتوفي سنة (238هـ)

4-مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل توفي سنة (241هـ) وهو من أكبر المسانيد الموجودة وطبع في عدة أجزاء.

- نبذة عن الكتب الستة في القرن الثالث الهجري :

قال الحافظ أبو الحجاج المزي (ت 742 هـ) : "واما السنة، فإن الله وفق لها حفاظاً عارفين، وجهابذة عالمين، وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها،وتفننوا في تدوينها على أنحاء كثيرة وضروب عديدة، حرصاً على حفظها . وخوفاً من إضاعتها، وكان من أحسنها تصنيفاً، وأجودها تأليفاً، وأكثرها صواباً، وأقلها خطأً، وأعمها نفعاً، وأعودها فائدة، وأعظمها بركة، وأيسرها مؤونة، وأحسنها قبولاً، عند الموافق والمخالف، وأجلها موضعاً، عند الخاصة والعامة: " صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري "، ثم " صحيح أبي الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري "، ثم بعدهما كتاب " السنن " لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثم كتاب " الجامع " لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ثم كتاب " السنن " لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ثم كتاب " السنن " لأبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني، وإن لم يبلغ درجتهم ".

وهذه نبذة مختصرة عن كل واحدة منها:

أولاً: صحيح الإمام البخاري

المؤلف :

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي مولاهم، شيخ الإسلام وإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، صاحب التصانيف الكثيرة، كان مولده في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، مات سنة ست وخمسين ومائتين للهجرة.

تسمية الكتاب :

اشتهر بين العلماء بـ" صحيح البخاري " ، أما اسمه كما وضعه مؤلفه، فقال الإمام يحيى بن شرف النووي: "سماه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسننه وأيامه".

وقال الحافظ ابن حجر : " سماه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسننه وأيامه " .

الباعث على تأليفه :

أ-قال الحافظ ابن حجر : " لما رأى البخاري تلك التصانيف التي ألفت قبل عصره، وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يقال لغثة: سمين، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين ".

ب – وقال أيضاً : " ... وقوى عزمه ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه، إسحاق بن راهوية، حيث قال : لو جمعتم كتاباً لصحيح سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال البخاري : فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح" .

ج- وقال الحافظ أيضاً : " ... وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس، قال : سمعت أبا عبد الله البخاري يقول : رأيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكأني بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي : أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع" .

موضوعه والكشف عن مغزاه فيه :

قال الحافظ : " تقرر أنه التزم الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح، ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه

صريحاً، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات البدعية، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة " .

وقال محيي الدين النووي : " ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها " .

عدد أحاديث صحيح البخاري:

قال الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح: ((وجملة ما في صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة، وقد قيل: إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث، إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين، وربما عد الحديث الواحد المروي بالإسنادين حديثين)).

وقال الحافظ أبو الفضل شهاب الدين بن حجر: ((فجميع ما في صحيح البخاري من المتون الموصولة بلا تكرير على التحرير ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان،ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثا، فجميع ذلك ألفا حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثا، وبين هذا العدد الذي حررته والعدد الذي ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كثير، وما عرفت من أين أتى الوهم في ذلك، ثم تأولته على أنه يحتمل أن يكون العاد الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطولا في موضع ومختصرا في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول، وأما لبعد العهد به، ولقلة المعرفة بالصناعة، ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير، وحينئذ يتبين السبب في تفاوت ما بين العددين، والله الموفق)).

ثانيا: صحيح الإمام مسلم:

-**المؤلف:** هو الإمام الحافظ الناقد أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ولد في سنة أربعة ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين للهجرة.

-**تسمية الكتاب:**

اشتهر هذا الكتاب بين العلماء باسم (صحيح مسلم)

قال ابن الصلاح: (روينا عن مسلم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة).

وقال ابن الصلاح أيضا: (بلغنا عن مكي بن عبدان، قال: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لو أن أهل الحديث يكتبون مائتي سنة الحديث، فمدارهم على هذا المسند) يعني مسنده الصحيح.

-**الباعث له على تأليفه:**

تولى الإمام مسلم بيان أسباب تأليفه لهذا المسند الصحيح في مقدمته؛ حيث ذكر أن السبب الباعث به على ذلك أمران:

الأول: إجابة لسؤال أحد تلاميذه؛ حيث قال في مقدمته: (ثم إنا – إن شاء الله – مبتدؤون في تخريج ما سألت تأليفه على شريطة سوف أذكرها لك).

الثاني: كثرة ما ألف وقذف به إلى الناس من الكتب المملوءة بالضعاف والمناكير والواهيات؛ حيث قال في مقدمته: (ولكن من أجل ما أعلمناك من أن نشر القوم الأخبار بالأسانيد الضعاف المجهولة، وقذفهم بها إلى العوام الذين لا يعرفون عيوبها، خف على قلوبنا إجابتك إلى ما سألت).

-**عدد أحاديث صحيح مسلم:**

قال الحافظ العراقي: ((ولم يذكر ابن الصلاح عدة أحاديث مسلم، وقد ذكرها النووي في زيادته في ((التقريب))، فقال: إن عدة أحاديثه نحو أربعة آلاف بإسقاط المكرر، ولم يذكر عدته بالمكرر، وهو يزيد على عدة كتاب البخاري لكثرة طرقه، وقد رأيت عن أبي الفضل أحمد بن سلمة أنه اثنا عشر ألف حديث.

ثالثا: سنن أبي داود السجستاني :

-المؤلف:

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني الإمام، شيخ السنة، مقدم الحفاظ، ومحدث البصرة، المولود سنة(202هـ)، والمتوفى سنة(275هـ).

-اسم كتاب أبي داود

اشتهر بين العلماء بـ(السنن)، ويبدو أن المؤلف نفسه سماه بهذا؛ حيث قال في رسالته إلى أهل مكة: (فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب (السنن): أهي أصح ما عرفت في الباب...)، وقال في موضع آخر من الرسالة أيضا: (وإن من الأحاديث في كتابي السنن ما ليس بمتصل وهو مرسل).

رابعاً: جامع أبي عيسى الترمذي

-المؤلِّف:

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الحافظ العلم البارع صاحب التصانيف الكثيرة، المولود في سنة (209 هـ) والمتوفى سنة (279 هـ) .

-اسم كتاب الترمذي:

جاء في مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: " قال صاحب كشف الظنون: قد اشتهر جامع الترمذي بالنسبة إلى مؤلِّفه، فيقال: جامع الترمذي "، وقال أيضاً : "لقد أطلق الحاكم والخطيب عليه الجامع الصحيح، ويقال له أيضاً: سنن الترمذي".

-منهج أبي عيسى الترمذي في جامعه:

رتب أبو عيسى الترمذي كتابه على الأبواب على طريقة الجوامع الشاملة للأحكام وغيرها، وكل باب من أبواب الترمذي يحمل عنوان المسألة أو الحكم الذى روى الترمذي الحديث من أجله، ويورد في الباب حديثاً أو أكثر ثم يتبع ذلك بآراء الفقهاء في المسألة وعملهم بذلك الحديث تصحيحاً وتحسيناً وتضعيفاً، ويتكلم على درجة الإسناد ورجاله وما اشتمل عليه من العلل، ويذكر ما للحديث من الطرق،ثم إن كان هناك أحاديث أخرى تناسب الترجمة فإنه يشير إليها بقوله: "وفي الباب عن فلان، وفلان" من الصحابة.

خامساً: كتاب السنن لأبي عبد الرحمن النسائي

المؤلِّف:

الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، ولد سنة (215 هـ) ، وتوفي سنة (303 هـ) قال الذهبي: "هو الحافظ شيخ الإسلام، ناقد الحديث، صاحب السنن وغيره".

-اسم كتابه:

ألَّف الحافظ النسائي كتاب "السنن الكبرى" فلما عاد من رحلته إلى مصر مرَّ بفلسطين، فنزل الرملة، فسأله أميرها: "أكلُّ ما في سننه صحيح؟ فقال: لا. فقال: جَرِّد الصحيح منه".فاختصره مقتصراً على ما يراه صحيحاً وسماه "المجتبى" بالباء الموحدة، أو "المجتنى" بالنون ويعرف أيضاً بـ "السنن الصغرى".

سادساً: السنن للحافظ أبي عبد اللّه ابن ماجه.

-المؤلف:

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الحافظ الكبير الحجة المفسر، مصنف السنن والتاريخ والتفسير وغيرها، حافظ قزوين في عصره، ولد سنة (209 هـ) ، وتوفي سنة (272 هـ) .

-اسم الكتاب:

اشتهر بين الناس باسم السنن منسوباً إلى صاحبه: سنن ابن ماجه.

-منهجه:

أول من ألحقه بالكتب الخمسة أبو الفضل محمد بن طاهر (ت 507 هـ) ، صاحب "شروط الأئمة الستة"، وغيره جعل مكانة "الموطأ" للإمام مالك، وقد رتب ابن ماجه كتابه على الأبواب مشتملاً على السنن والأحكام كباقي الكتب الستة، وأخرج فيها الحديث الصحيح والحسن والضعيف "

ولكل واحد من "هذه الكتب الستة" ميزة يعرفها أهل هذا الشأن، فاشتهرت هذه الكتب بين الأنام، وانتشرت في بلاد الإسلام، وعظم الانتفاع بها، وحرص طلاب العلم على تحصيلها، وصنفت فيها تصانيف، وعلقت عليها تعاليق، بعضها في معرفة ما اشتملت عليه من المتون، وبعضها في معرفة ما احتوت عليه من الأسانيد، وبعضها في مجموع ذلك.

خلاصة القول لقد شهد علم الحديث في العصر العباسي بداية النصف الأول من القرن الثالث الهجري نشاطًا كبيرًا من حيث الجمع والتدوين عندما اتسعت حركة جمع وتدوين العلوم النقلية والعقلية ، فكان لعلم الحديث ـ أشرف العلوم منزلة كونه يتعلق بأفعال وأقوال وتقريرات سيد الخلق نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حظه الوافر من الجمع والتدوين فانبرى له ثلة من العلماء الكبار ذاع صيتهم في الأفاق وسارت بأخبارهم الركبان وشدت الرحلة إليهم لطلب علم الحديث والرواية.

❁❁❁❁❁❁

أسئلة

س1 تحدثْ عن مرحلة تدوين السنة في القرن الثاني الهجري.

س2 اكتب مذكرة مختصرة عن :

أ- موطأ الإمام مالك (مؤلفه ـ سبب تسمبته ـ موضوعه ـ عدد أحاديثه ـ مرتبته ـ أهم الشروح عليه).

ب- مرحلة التدوين في القرن الثالث الهجري .

س 3 اكتب ماتعرفه عن :

أ- المسانيد (تعريفها ـ طرق ترتيبها).

ب-الصحاح الستة ومراتبها.

س4/ ابحث في الأنترنت مع زملائك عن فضل أئمة السلف قي حفظ السنة النبوية وتدوينها.



(الفتوحات في العصر العباسي)

امتد العصر العباسي من سنة 132 هـ ،حتى سنة 656هـ وقد تخلل ذلك العصر فترات قوة وفترات ضعف ، كما أن السمة الغالبة لعصر الدولة العباسية كانت ظهور دول إسلامية مختلفة في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي ، بعضها يدين بالولاء للخلافة الإسلامية وبعضها مستقل عنها تماماً بل ومُعادٍ لها أحياناً ، ،وتعتبر الفتوح التي باشرها الخلفاء العباسيون أو أمراؤهم محدودة جداً مقارنة بالعصور السابقة لهم ،إلا أن العباسيين نجحوا في المحافظة على الدولة الإسلامية وحدودها في غالب الأحيان ، وهذا بالطبع استلزم منهم حروبا وقائية ضد الروم بالدرجة الأولى ، وضد غيرها من الدول المجاورة .

(أ) الحروب مع الروم :

عاشت الدولة العباسية حروباً مختلفة مع الروم ، وخصوصاً في العصر العباسي الأول ، ومن أهم الحروب التي دارت بين المسلمين والروم ما جرى في أيام هارون الرشيد(170هـ-193هـ)،حيث عمل على تقوية الثغور الإسلامية مع الروم وعزلها وأسكنها الجنود وجعلها ولاية واحدة تمتد من الشرق إلى الغرب بمحاذاة الروم سميت (العواصم) وأكثر فيها الحصون وكان المسلمون يغزون الروم صيفا وشتاء فيما عرف بالصوائف والشواتي منذ أيام الأمويين ، واستمر العباسيون على ذلك في عصورهم الأولى ، وقد خرج الرشيد بنفسه سنة 181 هـ لغزو الروم ،مما جعل ملكتهم (إيرين) تدفع الجزية للمسلمين مقابل الصلح ،ورضي الرشيد بذلك .

وفي سنة 187هـ أزيحت الملكة "إيرين " عن الحكم وعين مكانها (نقفور) ملكا جديدا على الروم ،فنقض الصلح مع المسلمين ،وكتب إلى هارون الرشيد يهدد ويتوعد قائلا:" من

"نقفور" ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام (الرخ) وأقامت نفسها مكان (البيدق) فحملت إليك من أموالها ماكنت حقيقا بحمل أمثاله إليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي هذا فأردد ما حصل قبلها من أموالها وافتد نفسك بما تقع به المصادر لك وإلا فالسيف بيننا وبينك".

فلما قرأ الرشيد كتابه استشاط غضباً حتى خشي من ذلك جلساؤه، ثم دعا بدواة كتب على ظهر كتاب " نقفور " : " بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى (نقفور)كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه "، ثم خرج الرشيد بالأجناد لقتال الروم في اليوم الذي وصل فيه الكتاب قصد (هرقلة) وهي من أكبر مدن الروم ففتحها ، وغنم منها الغنائم وأخذ يصول ويجول في بلاد الروم حتى اضطر " نقفور" صاغراً أن يوادع الرشيد ويعقد معه معاهدة جديدة ، فرجع الرشيد من غزوته، إلا أن نقفور نقض المعاهدة وكان الرشيد لا يزال في الطريق والوقت شتاء ، فخشي جلساء الرشيد من إبلاغه بنقض " نقفور" للعهد فطلبوا من أحد الشعراء إبلاغه بذلك من خلال قصيدة لعلها تخفف من غضبه وكان منها :

نَقَضَ الذي أعطيته "نقفورُ" وعليه دائرةُ البوارِ تدورُ
أَبْشِرْ أميرَ المؤمنين فإنه غُنْم أتاك به الإله كبيرُ
فتح يزيدُ على الفتوح يؤمُّنا بالنصر فيه لِواؤُك المنصورُ

إلى آخر القصيدة التي ما أن سمعها حتى عاد أدراجه مرة أخرى للإيقاع بِـ"نقفور" وجنده فغزا وفتح العديد من المواقع مما دفع نقفور إلى طلب الصلح مرة أخرى ، واستمرت جيوش المسلمين في الغزو في نواحي بلاد الروم حتى عاد الرشيد بنفسه لغزو بلاد الروم مرة أخرى سنة 190هـ وتمكن من فتح (هرقلة) وهي من أعز مدن الروم عليهم ومسقط رأس نقفور مما دفع نقفور إلى التذلل والخضوع للمسلمين وأقر بدفع الجزية عن نفسه وأهل بيته .

ومن أبرز الفتوح في عهد العباسيين ما قام به المأمون بن هارون الرشيد حيث خرج بنفسه لغزو الروم سنة 215هـ ، وفتح ما يزيد على عشرين حصنا من حصونهم ، مما دفع ملك الروم "تيوفلس" إلى طلب الهدنة مع المسلمين ، وتأمين التجارة ، ورد الأسرى من الجانبين . وفي سنة 218هـ قام المأمون بنفسه بغزو الروم بعد أن تلقى رسالة من ملكهم أغضبته ، فرد المأمون على رسالته وعرض عليه الدخول في الإسلام أو دفع الجزية ، وكان مما قال المأمون في تلك الرسالة :"إني رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة ، من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية ، والشريعة الحنيفة ،فإن أبيت ففدية توجد ذمة وتثبت نظرة ، وإن تركت ذلك ففي يقين المعاينة بنعوتنا ما يغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة والسلام على من اتبع الهدى" فرفض ملك الروم الاستجابة مما دفع المأمون للاستمرار في الفتوح في بلادهم .

وقد عزم المأمون على غزو القسطنطينية عاصمة الروم إلا أنه توفي في رجب سنة 218هـ قبل أن يتم مشروعة .

ثم بويع المعتصم بن هارون الرشيد بالخلافة من بعده ، وكانت الحرب دائرة بين المسلمين والروم ، وفي الوقت نفسه قامت فتنة داخل الدولة العباسية تزعمها " بابك الخرمي " أخذت تبث الفساد في نواحي (همذان)وما جاورها ، وقتلت من المسلمين ما يزيد عن مائة ألف ، فانشغلت قوات الدولة العباسية في القضاء عليها ، وبالتالي استغل الروم الفرصة فهاجموا شمال الشام والجزيرة واستولوا على بعض مدنها وسبوا من نسائها ، فصاحت امرأةٌ ممن وقَعْنَ في الأسر وامعتصماه ، فلما بلغ المعتصم هذا النبأ استعظمه ، وصاح من فوره قائلا: لبيك ، ونهض من ساعته ونادى في جنده بالنفير وغادر بعد أيام بصحبته ما يزيد على مائة ألف جندي ، قادهم بنفسه لغزو بلاد الروم ، حيث أوقع الهزائم في جيوشهم ، وتمكن من فتح العديد من المواقع على رأسها (عمورية)مسقط رأس ملك الروم ، حيث تمكن المعتصم من فتحها في رمضان سنة 223هـ بعد حصار دام ستة أشهر ، وفي ذلك يقول الشاعر أبو تمام :

السَّيْـــفُ أَصْـــدَقُ إِنْبَـــاءً مِنَ الكُتُبِ في حـــدِّهِ الـــحدُّ بيـــنَ الـجـــدِّ واللَّعـــبِ

وبعد عصر المعتصم لم تتقطع المناوشات بين المسلمين والروم، بل استمرت الحروب، واستمر ضغط المسلمين على حدود الروم في الصوائف والشواتي، واستمر المجاهدون في المرابطة في الثغور لمدافعة الروم، غير أن هذه الحروب والغزوات لم تكن ذات تأثير كبير على أراضي الروم غير أنه كان لها قيمة كبيرة في المحافظة على الأراضي الإسلامية.

وفي منتصف القرن الرابع الهجري أيام حكم الحمدانيين لبلاد الشام قام الروم بالإغارة على بلاد الشام والتخريب فيها عدة مرات فيما بين 349- 358 هـ، إلى أن ظهر السلاجقة، على مسرح الأحداث في القرن الخامس الهجري بعد دخولهم بغداد في رمضان سنة 447هـ، فتمكنوا من تطهير بلاد الشام من الروم، وأخذوا يفتحون في بلاد الروم ويستوطنون بها.



(نهاية الدولة العباسية)

عصر الضعف، وهو الذي يشمل بقية خلفاء دولة بني العباس بعد المتوكل بن المعتصم حتى سقوط بغداد عاصمة الخلافة على أيدي التتار، وقتل الخليفة المستعصم عام 656هـ/ 1258م.

فما أهم سمات هذا العصر؟

إن من أهم سمات عصر الضعف بالخلافة العباسية وأسباب سقوطها ما يلي :

1- سيطرة القادة والجند الترك على الخلفاء :

إذا كان عصر القوة العباسي الأول قويًّا فلم تقم فيه سيطرة عسكرية أو زعامة ذات قوة تعتمد عليها في حكمها للمنطقة، وإذا ما تمَّ وحدَّثت نفسُ بعض القادة بذلك فقد كان يُقضَى عليها بسرعة، وهذا ما حدث لعبد الله بن علي، وأبي مسلم الخراساني، ولم تقم في ذلك العصر سوى دولة واحدة هي دولة الأغالبة في تونس، إذ كان إبراهيم بن الأغلب أمير المنطقة، واعتمد على نفوذه، وجنده فأسس دولته، وسكت عنه العباسيون لتقف إمارته هذه في وجه الإمارات الأخرى الخارجة على العباسيين، والمخالفة لهم، وهي إمارات الخوارج في "تاهرت" و"سِجِلْماسة"، وإمارة الأدارسة في المغرب الأقصى في فاس، ودولة الأمويين في الأندلس، وبهذا فلم تقم سوى دولة واحدة في عصر القوة العباسي اعتمدت على الجند.

وشعر الخليفة المأمون أن بعض القادة الذين أصبح لهم نفوذ لم يعد بالإمكان وضع حدٍّ لهم بسهولة، وخاف مغبة الأمر؛ لذا فقد طلب من أخيه المعتصم الإكثار من جلب الأتراك من بلاد ما وراء النهر على شكل مماليك، فحياة المدن لم تُفسد طباعَهم بعدُ، ويمكن تدريبهم تدريبًا عسكريًّا كي يكونوا أداةً طيعةً بيد الخليفة تحمي بهم الثغور، وتضرب بهم خصوم الدولة في

الداخل، وبدأت أفواج الترك تفد إلى بغداد حتى ضَجَّ منهم سكانها، وما أن أصبحوا جنودًا لهم نفوذ حتى كثرت تعدياتهم فقد أفسدتهم حياتهم الجديدة، وحدث الخلاف بينهم وبين البغداديين، واضطر المعتصم إلى بناء مدينة "سامراء" والانتقال بهم هناك، ومع الزمن أصبح منهم قادة اشتهر منهم "الأفشين" و"بُغا" و"وصيف" وغيرهم، وزاد نفوذهم في الدولة، وأخيرًا تآمروا مع المنتصر على قتل أبيه المتوكل عام 247هـ/ 862م.

ومع مجيء هؤلاء الجند إلى مركز السلطة أصبحت الأمور بأيديهم، وبقي الخليفة اسمًا أو صورة في قصره ليس عليه سوى التوقيع على التعليمات في كثير من الأحيان، أو إصدار الأوامر حسب رأي القادة، حتى وصف الخليفة أحد الشعراء فقال:

خليفة في قفصٍ بين وصيف وبُغا ... يقولُ ما قالا له كما تقول البَبَّغا

وأصبح الحكم بالسيف لا بالرأي، والتنفيذ بالسوط لا بالحكمة، والناس مجبرون على الخضوع سواءٌ أكان الأمر حقًّا أم باطلاً، وقد قال أحد الشعراء معبرًا عن هذا الوضع :

لله دَرُّ عصابةٍ تركيةٍ ... جعلوا نوائب دهرهم بالسيف

قتلوا الخليفة أحمد بن محمد ... وكسوا جميع الناس ثوب الخوف .

2- انغماس أغلب المجتمع في الترف :

بينما كان العصر العباسي الأول عصر فتوحات عظيمة، وتوسعت بالدولة إلى آفاق غير متخيَّلة، وأصبح المستوى المادي طاغيًا؛ ويبدأ المجتمع في التمتع بثمارها، وبالنعيم الدنيوي الذي صنعه لهم المال الوفير، ووفرته لهم القصور الشاهقة، والحدائق الغنَّاء، والجواري الحسان؛ فانزلقوا إلى اللهو والمجون والفساد، وازدهرت صنعة الغناء بدل الجهاد، وصار المغنون أشهر من العلماء، وطغى حب الدنيا في القلوب، وكان من الطبيعي - والحال هكذا - أن تتوقف الفتوحات، ويركن الناس إلى الدنيا؛ فيصير الأمر إلى زوال

3ـ انتشار حركة الشعوبية:

الشعوبية قوم متعصبون ضد العرب مفضِّلون عليهم العجم، ظهرت دعوتهم بعد عصر الخلفاء بدخول أجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الإسلامية، فنشأت العداوات بين العرب أصحاب الدولة، وبين العجم الذين انتحلوا الإسلام، وكما حدثت هذه المفاضلة بين العرب والعجم، حدثت أيضًا بين العرب أنفسهم في صيغة أخرى، وهي: القيسة واليمنة.

4ـ الحركات الانفصالية :

لقد مضى العصر العباسي الأول ولا تزال للمسلمين دولة واحدة، وجميعهم يتبعون خليفة واحدا، وإن وُجِدت ولاياتٌ لا تقر بالخليفة القائم بالأمر، أو تختلف معه قليلاً أو كثيرًا، وذلك مثل: الدولة الأموية في الأندلس، وكذلك قامت دولتان للخوارج في المغرب الأوسط حوالي عام 140هـ/ 757م إحداهما الرستمية في "تاهرت"، والأخرى للصفرية في "سِجِلماسة، وقامت كذلك دولة الأدارسة الشيعية العلوية في المغرب سنة 172هـ، كما تأسست كذلك دولة الأغالبة في المغرب الأدنى سنة 184هـ .

أمَّا في عصر الضعف العباسي الطويل، فقد نشأت دويلات في مشرق الدولة الإسلامية إضافة إلى ما نشأ في مغربها؛ فقامت في المشرق الإسلامي دول انفصالية منها الدولة الطاهرية (205- 259هـ/ 820- 872م)، والدولة الصفارية (254- 298هـ/ 868- 911م) والدولة السامانية (261- 389هـ/ 874- 998م).

وكذلك زادت الدول المستقلة في مغرب الدولة الإسلامية وخاصة في مصر، فقد قام المماليك بتأسيس دول لهم في مصر مثل: الدولة الطولونية (254- 292هـ/ 868- 904م)والدولة الإخشيدية (323- 358هـ/ 934-968م)، والدولة العُبيدية الرافضية في بلاد المغرب ومصر (297- 567هـ/ 909-1171م).

كما ظهرت دول أيضًا في وسط الدول الإسلامية، فقد قامت الدولة الحمدانية الشيعية في الموصل (317– 380هـ/ 929– 990م)، وفي حلب (333ـ 394هـ/ 944– 1003م).

وأخيرًا يمكن القول: إن وجود هذه الدويلات إنما يعود إلى الضعف الذي أصاب الدولة العباسية، وإن وجود هذه الدويلات قد زاد في الضعف، أو هو سبب من أسبابه مما دفع أصحابها إلى القيام بحركات ضد الخلافة وولاة الامور استغلها أهل السوء فخرجوا عن الأئمة واستباحوا بلاد المسلمين كالخوارج والشيعة الروافض ،وتعددت الدول المنفصلة عن جسم الخلافة فكانت الخلافة العباسية فريسة سهلة بيد أعدائهم المتربصين بهم فكانت النهاية على يد المغول التتار بإيعاز الشيعة الروافض وعلى رأسهم وزير آخر خلفاء بني العباس وهو ابن العلقمي الشيعي الرافضي والذي كان يبطن الحقد والضغينة لأهل السنة ويتحين الفرصة لاجتثاث ملكهم وسفك دمائهم فوجد الفرصة في استقدام المغول إلى بلاد الإسلام وتحالف معهم سراً ضد الخلافة العباسية وساهم بشكل كبير في نهاية حكمهم وقتل كثير من المسلمين خلال هجوم المغوم على بغداد وسقوطها بأيديهم سنة 656هـ/ 1258م.



أسئلة

س1 – تحدثْ عن عزوات بني العباس لبلاد الروم .

س2 – تحدثْ عن سمات عصر الضعف في الدولة العباسية حتى نهايتها على يد المغول سنة 656هـ..



المصادر والمراجع

- البداية والنهاية لابن كثير
- تاريخ الرسل والملوك للطبري
- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- العهد الأموي لمحمود شاكر
- الدولة العباسية لمحمود شاكر

المحتويات